ظاهرة الإتباع في نماذج من الحديث الشريف
(دراسة صوتية دلالية بلاغية)

أ/ أحمد السوداني(*)
د/ إيمان الشرهان(*)

الملخص:

يدرس البحث ظاهرةً لغويةً أطلق عليها اللُّغويون العرب مصطلح الإتباع، وتتضح فكرة هذه الظاهرة من خلال تتابع كلمتين فأكثر على الوزن نفسه والروي عينه مثل: ساغب لاغب، وقسيم وسيم، وحقير نقير وغيرها، يهدف البحث لبيان مفهوم هذه الظاهرة عند المتقدمين والمحدثين، كما يتتبع مواطن الإتباع في نماذج من الحديث الشريف لاكتشاف بعض اللمسات الدلالية واللطائف البلاغية وربطها بالوصف الصوتي للأصوات المتتابعة، ولحصر نماذج الإتباع في الحديث الشريف؛ يوظف البحث أداة حاسوبية تقوم بمسح الأحاديث الشريفة الواردة في الموسوعة الشاملة واستخراج الكلمات المتشابهة كتابة باختلاف حرف واحد، بعد ذلك تُحصر حالات الإتباع بشكل يدوي، ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، كونه يسعى إلى وصف وتحليل ظاهرة الإتباع من النواحي الدلالية والبلاغية والصوتية، ومن النتائج الأولية التي توصل إليها البحث: شيوع ظاهرة الإتباع وذيوعها في الحديث الشريف، وكثرة ورود حالات الإتباع بين الصوتين الأولين، إضافة إلى تعدد الصور البيانية والآثار الدلالية التي يحققها الإتباع.

الكلمات المفتاحية: الإتباع، الحديث الشريف.

(*) ماجستير في اللغة العربية – جامعة الكويت.
(*) أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية – جامعة الكويت.

المقدمة

زخرت الدراسات اللُّغوية قديمًا وحديثًا بظواهر لُغوية متعددة؛ كالترادف والمشترك اللفظي والتضاد والاشتقاق والنحت وغيرها من الظواهر التي أثرى بها العلماء والدارسون الدرس اللُّغوي، ومن أهم هذه الظواهر التي وردت في النصوص العربية ظاهرة الإتباع، وهي من أكثر الظواهر شيوعا في العربية، حيث لاقت هذه الظاهرة اهتمامًا كبيرًا من العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا، وعنى بها أرباب اللغة عناية كبيرة.

لعل سبب عنايتهم بهذه الظاهرة يرجع إلى عدة أمور، نذكر منها: كثرة ورودها في القرآن الكريم وفي كلام العرب، فقد حفلت مصنفاتهم بالحديث حول حد الإتباع ووازنوا بين مفهومه وبين مفاهيم لغوية قريبة منه، كمفهومي التوكيد والإبدال، فممن تحدث عن ظاهرة الإتباع من القدماء سيبويه في كتابه "الكتاب"، وابن فارس في كتابه "الإتباع والمزاوجة"، وأبو الطيب اللُّغوي في كتابه "الإتباع"، والسيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللغة"، وأبو علي القالي في كتابه "الأمالي"، والثعالبي في كتابه "فقه العربية وأسرار العربية"، وابن الدهان في كتابه "الغرة في شرح اللمع"، وابن سيدا في معجمه المخصص، وابن دريد في كتابه "جمهرة اللغة"، وأبو عبيد في كتابيه "الغريب المصنف" و"غريب الحديث"، وابن جني في كتابه "الخصائص".

وأفاد المحدثون مما تركه القدماء من إرث علمي في هذا الشأن، فضمنوا مؤلفاتهم مباحث تتناول ظاهرة الإتباع، ولعل العلة في ذلك ترجع إلى شيوع ظاهرة الإتباع في بعض اللهجات العربية وعدم اقتصارها على الفصحى، فعقد بعض الباحثين فصولا في كتبهم حول الإتباع في اللهجات العربية، ومنهم من خصص الإتباع في لهجة بعينها كالإتباع في اللهجة العراقية والتي جاءت في فصل من كتاب "أشتات لُغوية" للمؤلف كوركيس عواد.

يضاف إلى ما سبق سببًا آخر، يتمثل في وجود كلمات ومصطلحات لهجية حديثة مأخوذة من واقع الحياة المعاصرة، نتيجة للتطور اللُّغوي للمجتمعات؛ إذ إن اللغة كما هو معروف كائن حي يتطور، ومن هنا لم تقتصر ظاهرة الإتباع على ما ذكره الأقدمون في مؤلفاتهم، فقد أخذ المحدَثون على عاتقهم معالجة هذه الظاهرة معالجة لغوية في كتبهم ودراساتهم؛ ومن علماء اللغة المحدثين الذين كانت لهم إسهامات علمية في هذا الميدان، الدكتور محمود فهمي حجازي في مؤلفه "علم اللغة العربية"، والدكتور حسين نصار في كتابه "دراسات لغوية"، والاب رفائيل نخلة اليسوعي في كتابه "غرائب اللغة العربية"، ودكتور أحمد مختار عمر في مؤلفه "دراسة الصوت اللُّغوي"، والدكتور رمضان عبد التواب في كتابه "فصول في فقه العربية"، وإبراهيم أنيس في مؤلفه "في اللهجات العربية".

والإتباع هو تعاقب وتلاحق لفظين أو أكثر على الترتيب مما يحقق جرسا موسيقيا محببا إلى النفس، ومن ذلك: حيص بيص، حار يار، ساغب لاغب، عفريت نفريت، شذر مذر وغيرها، وهذه الظاهرة ذات أهمية وظيفية ودلالية وبلاغية، وقد وردت في نماذج من الحديث الشريف وكلام العرب كما وظفها الشعراء في بعض قصائدهم، فهي من هذا الجانب تعد ذات أهمية وظيفية؛ إذ إن الفصيح لا يضمن كلامه ظاهرة لُغوية عبثا، أي أن الفصيح البليغ لا يلجأ إلى استخدام ظاهرة لغوية في كلامه -غالبا- إلا إذا كان لها دلالات جمالية ومعنوية وبيانية يزيد بها كلامه بلاغة وبيانًا، ومن ناحية أخرى فهي ذات أهمية دلالية حيث يترتب على استخدام الإتباع دلالات متعددة تكتسبها الكلمة بإردافها إلى الكلمة السابقة لها، فلو تم الوقوف على بعض أمثلة الإتباع لتبينت بعض هذه الدلالات مثل دلالة تأكيد الكلام وتقويته، ودلالة الإيجاز والتكثيف اللُّغوي في المعنى، وإحداث نغمة موسيقية وغير ذلك.

وقد توسع القدماء في تناولهم لقضية الإتباع وفصلوا القول في ذلك، وقسموا الإتباع إلى عدة أقسام، ولكنهم اتفقوا على قسمين رئيسين هما: إتباع الحركات وإتباع المفردات، وعقد بعضهم مصنفات خاصة تناول فيها هذه الظاهرة، ومن هؤلاء أبو الطيب اللُّغوي وابن فارس، وممن تناول الإتباع ضمن مؤلفاته من العلماء جلال الدين السيوطي، وأبو علي القالي، وابن الدهان وغيرهم.

ولم تقتصر دراسة قضية الإتباع على المتقدمين فحسب، بل درسها بعض المحدَثين أيضًا في بعض مؤلفاتهم مثل حسين نصار وأحمد مختار عمر ورمضان عبد التواب ومحمود فهمي حجازي والآب رفائيل نخلة اليسوعي وغيرهم.

والفرق بين آلية تناول المتقدمين والمتأخرين لهذه الظاهرة، أن الأوائل تناولوا هذه الظاهرة تناولًا عامًّا بحيث درسوا جميع صور الإتباع وأقسامه تحت باب الإتباع، فهم أطلقوا على الحركة التي تتبع حركة أخرى وعلى الحرف الذي يتبع حرفا آخر والكلمة التي تتبع الكلمة الأخرى مصطلح الإتباع، لذلك بحثوا الإتباع في القراءات القرآنية وفي كلام العرب بخلاف المحدثين الذين ركزوا في دراساتهم اللُّغوية الحديثة على صورة بعينها من صور الإتباع وهي المتمثلة في ذلك النوع المسمى بإتباع المفردات، فيعنى أرباب اللغة المحدثون بدراسة هذه الظاهرة على صعيد الألفاظ لا الحروف، وإنما يدرسون ما يتعلق بإتباع الحركة بحركة تحت مبحث المماثلة.

وتسعى هذه الدراسة إلى دراسة ظاهرة الإتباع وفقًا لمناهج علم اللغة الحديث، كما أنها تركز على نوع من أنواع الإتباع؛ وهو الإتباع في المفردات الذي دونه علماء اللغة المحدَثون في مؤلفاتهم، وسيحاول هذا البحث تتبع ظاهرة الإتباع في نماذج من الحديث الشريف، ثم التركيز على تناول مسألة الإتباع من الناحية الدلالية والبلاغية والصوتية، من خلال مجموعة من الأحاديث الصحيحة من الجانب الصوتي المرتبط بمخارج الأصوات وصفات النطق ومعياري الهمس

والجهر، وما يترتب على ذلك من معانٍ ودلالات قد أضفاها الإتباع من الناحية اللُّغوية والبلاغية، وما يتمخض عن ذلك من أثر سمعي وإيقاع موسيقي يشعر به مستقبل الرسالة اللُّغوية.

أما بالنسبة لما يتصل بالجانب الدلالي سيتولى البحث تحليل الدلالات التي أضافها توظيف الإتباع إلى السياق النصي للحديث الشريف بدلالاته المتعددة، مثل دلالة الإيجاز والتكثيف اللُّغوي والتوكيد ومعاني دلالية ذات طابع بلاغي، مثل الجناس والسجع وغيرها من الإضاءات الصوتية واللمسات الدلالية.

وفي سبيل جمع البيانات اللازمة لهذه الدراسة، طور البحث أداة حاسوبية تبحث في النصوص العربية المختلفة عن حالات الإتباع ومن ثم تقوم بتصنيفها مع بيان مصدرها، وقد اعتمدنا في بناء خوارزمية البحث في هذه الأداة على تقنية regular expression، والتي تعتمد على مطابقة الأنماط الصوتية المختلفة بحثا عن تشابه بين كلمتين متتاليتين، وكانت قاعدة البحث التي اعتمدتها الدراسة "الموسوعة الشاملة"، والتي تضم ما يربو على سبعة آلاف كتاب في مجالات متنوعة مثل كتب الشريعة وكتب اللغة وكتب التاريخ وغيرها.

لقد نتج عن البحث الحاسوبي في هذه الكتب قائمة تضم ما يزيد عن مئة ألف حالة لكلمتين متتاليتين ومتطابقتين باستثناء حرف واحد، وهذا ما نبحث عنه في الإتباع في المفردات، قمنا بتصفية هذه الكلمات لاستبعاد الحالات التي لا يمكن اعتبارها إتباعا وبعد ذلك قمنا بدراستها كما سيأتي بيانه، ونظرا لكثرة حالات الإتباع التي نتجت عن البحث في الموسوعة الشاملة فقد تخيرنا أبرز هذه الحالات وأكثرها شيوعا لدراستها في هذا الفصل.

الدراسات السابقة:

من الأبحاث التي عالجت قضية الإتباع بحث نشر في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر العدد ٢٧، المجلد ٥ بتاريخ ٢٠٠٨ الموسوم

بـ«الإتباع اللُّغوي: قراءة في النصوص التراثية» للدكتور الموافي الرفاعي البيلي، وسعى الباحث في دراسته إلى بيان مفهوم الإتباع وأقسامه، فدرس الإتباع من النواحي النحوية والصرفية واللُّغوية، وناقش آراء جملة من علماء اللغة القدماء في قضية الإتباع وأورد بعض الأمثلة على الإتباع من اللهجة المصرية.

ومن الدراسات أيضًا رسالة دكتوراة للباحث أحمد عبد الرحمن سالم بالخير الموسومة بـ«ظاهرة الإتباع في العربية: دراسة تحليلية» نشرت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق سوريا، وفي اتحاد الكتاب العرب عدد ١١٤ في يونيو ٢٠٠٩م.

درس الباحث في رسالته ظاهرة الإتباع في القرآن الكريم والشعر العربي والأقوال والأمثال، وعالج ما قد يحدث من لبس في فهم هذه الظاهرة، وناقش الإتباع في الحركات وفي الكلمات وما يترتب على ذلك من آثار سياقية ودلالية.

كذلك نجد بحث نشر في مجلة الآداب بجامعة بغداد كلية الآداب العدد ٩٣ بتاريخ ٢٠١٠، الموسوم بـ«الإتباع في العربية Reduplication» للدكتورة هيام فهمي إبراهيم. تناولت الباحثة في هذه الدراسة حد الإتباع وبيان أنواعه وصوره المتعددة في العربية، وعالجت الإتباع وما قد يتداخل معه من ظواهر كالتوكيد والإبدال والترادف، وركز البحث على دراسة الإتباع من الناحية الصوتية من خلال تقطيع الأصوات التي حدث بينها الإتباع.

ومن الرسائل الجامعية التي درست قضية الإتباع رسالة دكتوراه الموسومة بـ«ظاهرة الإتباع في المستويات اللسانية» للباحثة منصوري خيرة سنة ٢٠١٢/ ٢٠١٣م، جامعة وهران في الجزائر كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، وناقشت الباحثة في رسالتها ظاهرة الإتباع في ضوء المستويات اللسانية كالأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة، فدرست الأصوات التي يقع

بينها الإتباع وأبرز الصيغ الصرفية للمتتابعين وما يترتب على هذه الظاهرة من آثار نحوية ودلالية.

ومن الأبحاث التي عالجت ظاهرة الإتباع في العربية أيضا، بحث نشر في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر العدد ٣٢ والمجلد ١ بتاريخ ٢٠١٢ الموسوم بـ«الإتباع اللُّغوي: قراءة في كتابي الإتباع لأبي الطيب اللُّغوي وابن فارس» للدكتورة محاسن فكري عبد الخالق مجاهد. درست الدكتورة ظاهرة الإتباع في العربية وبينت تعريف الإتباع وأنواعه وآراء العلماء تجاه هذه الظاهرة، وناقشت نماذج مختارةً للإتباع من كتاب الإتباع لأبي الطيب اللُّغوي وكتاب الإتباع والمزاوجة لابن فارس وذلك للوصول إلى معرفة دلالة التابع وما يفيده في الكلام.

ومن الدراسات التي تناولت ظاهرة الإتباع دراسة نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد الخامس والتسعون عام ٢٠١٨ للدكتور ميثم محمد علي الموسومة بـ "إشكالية اللفظ التابع في ظاهرة الإتباع اللفظي بين الوجود والعدم"، وعالج الدكتور قضية الإتباع وسلط الضوء في دراسته على دلالة التابع بغية الوصول إلى دلالته ومعرفة إمكانية استقلاله الدلالي عن المتبوع للإجابة عن السؤال وهو: هل من الممكن تمتع التابع بالاستقلالية الدلالية بمعزل عن المتبوع؟

ومن الأبحاث التي درست الإتباع أيضًا بحث نشر في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد ٥٢ الموسوم بـ"هل شاركت العجم العرب في الإتباع" للباحث جلال عبد الله محمد سيف الحمادي في مايو ٢٠١٩، فدرس الباحث رأي ابن فارس القائل بمشاركة العجم للعرب في ظاهرة الإتباع وتوصل الباحث إلى صحة وصواب هذا الرأي من خلال استعراضه جملة من الشواهد والنصوص التي تدعم رأي ابن فارس وتعضد ما توصل إليه البحث.

وكذلك بحث نشر في أكتوبر ٢٠١٩ في المجلة الليبية العالمية العدد ٤٥ للباحث عيسى عبد الرحمن النيهوم الموسوم بـ«ظاهرة الإتباع الدلالي في اللغة العربية: دراسة تحليلية»، إذ ناقش فيه الباحث قضية الإتباع في العربية وأشار إلى مفهوم الإتباع وأقسامه وذكر جملة من آراء العلماء حيال هذه الظاهرة واتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي.

أما الدراسات التي تناولت الإتباع في اللهجات العربية فمنها دراسة للدكتور محمد عباس أحمد موسى الموسومة بـ«الإتباع بين الفصحى والعامية المصرية في ضوء لهجة الوجه القبلي» نشرت في جامعة الأزهر، كلية الدراسات الاسلامية والعربية، المجلد ٢٢ العدد ٢ في عام ٢٠٠٧، وعالجت هذه الدراسة قضية الإتباع في العربية وفي اللهجة العامية المصرية وعلى وجه التحديد لهجة الوجه القبلي، وناقش الدكتور في دراسته مفهوم الإتباع بنوعيه الرئيسين الإتباع في المفردات والإتباع في الحركات.

كما كان للهجة الفلسطينية نصيب من دراسة الإتباع وذل في دراسة قام بها الدكتور خليل عبد القادر يوسف عيسى الموسومة بـ«الإتباع في اللهجة الفلسطينية المحكية» نشرت في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد ٥١، في عام ٢٠١٩، وسعى الدكتور في هذه الدراسة إلى رصد واستقصاء الإتباع في اللهجة الفلسطينية متبعًا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، وأورد الدكتور ٢٢٥ حالة للإتباع في اللهجة الفلسطينية.

لذلك تسعى هذه الدراسة إلى إضفاء لمسة من التجديد في آلية تناول الإتباع، فتتناول الإتباع من خلال نماذج من الحديث الشريف وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة، للوصول إلى بعض الثمار الدلالية والنكت البلاغية ومعرفة الخصائص الصوتية للأصوات التي يقع بينها الإتباع.

مفهوم الإتباع في اللغة والاصطلاح:

يدور مفهوم الإتباع في اللغة حول التوالي والتعاقب والتقفية، وقد ذكر ذلك ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة"، إذ يقول في خضم حديثه عن مادة (ت.ب.ع): "(تَبِعَ) التَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ لَا يَشِذُّ عَنْهُ مِنَ الْبَابِ شَيْءٌ، وَهُوَ التُّلُوُّ وَالْقَفْوُ. يُقَالُ تَبِعْتُ فُلَانًا إِذَا تَلَوْتَهُ [وَ] اتَّبَعْتَهُ. وَأَتْبَعْتُهُ إِذَا لَحِقْتَهُ. وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ"[١].

وجاء مفهوم الإتباع في اللغة عند ابن منظور في معجمه "لسان العرب" إذ ذكر أن الإتباع هو: "تَبِعَ الشيءَ تَبَعًا وتَباعًا في الأَفعال وتَبِعْتُ، الشيءَ تُبوعًا: سِرْت في إِثْرِه؛ واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه قَفاه وتَطلَّبه مُتَّبعًا له وكذلك تتَبَّعه وتتَبَّعْته تتَبُّعًا"[٢].

وتحدث صاحب "مختار الصحاح" في معجمه عن الفلسفة اللُّغوية للإتباع فقال: (تبع): "(تَبِعَهُ) مِنْ بَابِ طَرِبَ وَسَلِمَ إِذَا مَشَى خَلْفَهُ أَوْ مَرَّ بِهِ فَمَضَى مَعَهُ وَكَذَا (اتَّبَعَهُ) وَهُوَ افْتَعَلَ وَ (أَتْبَعَهُ) عَلَى أَفْعَلَ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَهُ فَلَحِقَهُ، وَأَتْبَعَ غَيْرَهُ، يُقَالُ: أَتْبَعْتُهُ الشَّيْءَ فَتَبِعَهُ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: (تَبِعَهُ) وَ (أَتْبَعَهُ) بِمَعْنًى، مِثْلُ رَدِفَهُ وَأَرْدَفَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ" "[ص:٤٥] تَعَالَى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات: ١٠] وَ (التَّبَعُ) يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} [إبراهيم: ٢١] وَجَمْعُهُ (أَتْبَاعٌ) وَ (تَابَعَهُ) عَلَى كَذَا (مُتَابَعَةً) وَ(تِبَاعًا) بِالْكَسْرِ وَ (التِّبَاعُ) أَيْضًا الْوَلَاءُ"[٣].

وأورد ابن سيده في معجمه "المخصص" المعنى اللُّغوي للإتباع، ومن ذلك قوله: "أَبو عبيد أَتْبَعْت القوم مثل أَفْعلت إذا كانوا قد سبقوك فَلَحِقْتَهم قال واتَّبَعْتُهم مثل افْتَعَلْت إذا مرُّوا بك فمضيتَ وتَبِعْتُهم تَبَعًا مثله يقال ما زِلْتُ أَتَّبِعُهم حتى أَتْبَعْتُهم"[٤].

وممن تحدث عن المفهوم اللُّغوي للإتباع من علماء اللغة المحدثين الدكتور أحمد مختار عمر في معجمه "معجم اللغة العربية المعاصرة" إذ قال: "تبِعَ يَتبَع،

تَبَعًا وتُبوعًا، فهو تابِع، والمفعول مَتْبوع، تَبِع فُلانًا: لحِقه، أو تلاه" واتَّبعَ/ اتَّبعَ في يتَّبع، اتِّباعًا، فهو متَّبِع، والمفعول متَّبَع • اتَّبع فلانًا: سار وراءه ولاحَقَهُ وطارَدهُ "{فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}"[٥].

وفقًا لما تقدم، فإن المفهوم اللُّغوي للإتباع يدور حول معاني التتابع والتعاقب والتوالي، أما مفهوم الإتباع اصطلاحًا فهو تتابع لفظين وتعاقبهما على الوزن نفسه، والروي عينه[٦].

أ- المفهوم الاصطلاحي للإتباع عند المتقدمين:

يعد سيبويه من أعلام النحو واللغة الذين أثروا المكتبة العربية، فكان له إسهام علمي واضح في قضايا اللغة والنحو، ويتمثل ذلك في كتابه "الكتاب" الذي تضمن قضايا نحْوية ولُغوية متعددة منها قضية الإتباع، يرى أن مفهوم الإتباع يتمثل في كلمة تلي وتلحق بكلمة أخرى، ويشرح هذا المعنى بقوله: "ولا تقول: عَوْلَةٌ لك إلَّا أن يكون قبلها وَيْلَةٌ لك، ولا تقول: عَوْلٌ لك حتَّى تقول: وَيْلٌ لك؛ لأنّ ذا يتبع ذا، كما أنّ يَنُوءُك يَتْبَعُ يَسُوءُك ولا يكون ينوءُك مبتدأ"[٧].

يذهب سيبويه إلى أن مصطلح الإتباع الذي صرح به في كتابه يقع في الحركات كما يقع في السواكن حيث نص في كتابه على أن "الذين قالوا مِغِيرةٌ ومِعِينٌ فليس على هذا، ولكنَّهم أتبعوا الكسرةَ الكسرةَ، كما قالوا مِنْتِنٌ وأُنْبؤك وأَجوءُك، يريد: أَجِيئُك وأُنْبئُك"[٨]، ويقول أيضًا "قالوا: هذا عِدِلْ وفِسِلْ؛ فأتبعوها الكسرة الأُولى؛ ولم يفعلوا ما فعلوا بالأوّل؛ لأنَّه ليس من كلامهم فِعُل؛ فشبَّهوها بمنتُن؛ أتبعوها الأول"[٩].

وممن تحدث حول موضوع الإتباع أبو الطيب اللُّغوي، فقد قسّم الإتباع إلى اسمي وفعلي؛ وقسم الإتباع الاسمي إلى ما يكون التابع فيه له معنى أو ما ليس له معنى، والقسم الثاني ما له معنى وكلاهما لا يجيئان مفردين، أما القسم الأول فله وجهان أن يكون التابع كلمة واحدة أو كلمتين. أما الإتباع الفعلي فهو ما كان

فيه التابع متصلًا ومقترنًا بواو العطف، ويتفرع عن هذا النَّوع ما كان التابع فيه ظاهرًا أو مقدرًا، ومن أمثلة ما كان ظاهرًا: عبس وبسر، وما له عام وآم، وحياك الله وبياك، مما يكون مقدرًا المصدر المنصوب لفعل محذوف كقولهم: بعدا وسحقا، وجوعًا وثوعًا، وقد يأتي الإتباع الفعلي بلفظين مثل لا بارك الله في الشعوبي ولا تارك ولا دارك![١٠].

وقسم القالي الإتباع إلى ضربين: ضرب يكون فيه التابع والمتبوع بالمعنى نفسه، ويفيد التوكيد، وعلته في ذلك مخالفة اللفظ الثاني للأول، مثل قولهم: رجل قسيم وسيم وكلاهما بمعنى الجميل. وأما الضرب الثاني الكلمتان مختلفتان في المعنى مثل قولهم: حسن بسن[١١].

عرف ابن فارس الإتباع كذلك في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" فقال: "أن تُتبع الكلمةُ الكلمة على وزنها أو رويها إشباعا وتأكيدًا"[١٢].

ويعد جلال الدين السيوطي من علماء اللغة الذين زخرت المكتبة العربية بمصنفاتهم؛ من هذه المصنفات كتابه الشهير "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" والذي تناول فيه مسائل متعددة من قضايا اللغة، ومن أهم هذه القضايا قضية الإتباع، فخصص بابًا في الإتباع، وعرض بعض آراء العلماء وأقوالهم في هذه القضية، فأغنى كتابه بالأمثلة المتنوعة على هذه الظاهرة، واستدرك السيوطي في كتابه هذا على ما ذكره ابن فارس في كتابه "الإتباع والمزاوجة" وزاد عليه، فبعد أن ساق السيوطي أقوال العلماء في الإتباع ذكر ما يستفاد من تلك الأقوال، فذهب إلى أن المتبع قد يكون لفظًا واحدًا أو لفظين مثل رجل سدمان ندمان، وحسن بسن قسن[١٣].

يتداخل مفهوم الإتباع عند بعض اللُّغويين مع مفاهيم أخرى كالتأكيد والترادف والإبدال، وهناك من العلماء من فرق بين هذه المصطلحات المتقاربة في الدلالة، ومنهم السبكي والقالي وثعلب، يرى التاج السبكي أن ما ذهب إليه بعض العرب

من المزج بين الإتباع والترادف أمرٌ فيه نظر؛ وذلك لأن المترادف مستقل الدلالة في ذاته، لا يحتاج إلى كلمة تعضد معناه، بخلاف التابع في قضية الإتباع فإنه لا يكتسب دلالة واضحة في ذاته استقلالا عن الكلمة الأخرى، وهذا ما تبناه الفخر الرازي، وينهج السبكي النهج الذي يقول: إن التابع يتباين عن الترادف، لكن هذا لا يعني أن التابع في ذاته لا معنى له، فالعرب لا تتبع الكلمة بكلمة أخرى دون غرض لغوي، فنهج السبكي النهج الذي يقول: إن التابع له فائدة وهي تقوية المعنى وتأكيده[١٤].

يرى الآمدي أن التابع لا معنى له أصلًا، ويدعم رأيه فيما ذكره ابن دريد عندما سأل أبا حاتم عن معنى بسن في قولهم حسن بسن، فأجاب أبو حاتم بأنه لا يعرف معنى ذلك، ورد السبكي بقوله: إن عدم علم أبي حاتم بالمعنى، لا يعني أن ليس له معنى.

وقد فرق السبكي بين الإتباع والتأكيد، فالتأكيد يفيد التقوية كما يفيدها التابع بالإضافة إلى أن التأكيد ينفي المجاز، فهو يورد المعنى على الحقيقة، وكذلك يشترط في التابع أن يكون على وزن المتبوع وهذا ما لا يشترط في التأكيد.

ب- المفهوم الاصطلاحي للإتباع عند المحدثين:

بعد التناول الموجز لجملة من آراء اللُّغويين القدامى لا يمكن التغافل عن ذكر بعض آراء علماء اللغة المحدَثين في قضية الإتباع، وشرح مفهوم هذه الظاهرة اللُّغوية عندهم، وسَيُجْمَل ذلك فيما يلي:

كان للدكتور أحمد مختار عمر موقفًا واضحًا حيال قضية الإتباع في معجمه "معجم اللغة العربية المعاصرة" فعرفه بأنه "توالي لفظين يتفقان في الوزن والرَّويّ بقصد تقوية المعنى، والثَّاني بمعنى الأول، أو غير ذي معنى، ولا يُستعمل منفردًا "حسَن بسَن- خبيث لبيث – شيطان ليطان"[١٥].

وفقًا لتعريف أحمد مختار عمر للإتباع يتضح أنه وضع شروطًا لهذه المسألة، فهو يرى أن الإتباع لابد له من شروط تتمثل في اتحاد الكلمتين وتواليهما وجعلهما على وزن واحد وروي واحد، ويرى كذلك أن الإتباع لا يستخدم منفردًا، وهو يتفق في تعريفه للإتباع مع ما ذكره ابن فارس إذ اشترط في الإتباع وحدة الوزن والروي.

واستدرك الدكتور حسين نصار في كتابه "دراسات لُغوية" على بعض ما ذكره علماء اللغة القدماء، وأخذ عليهم بعض المآخذ مثل ما أخذه على أبي علي القالي؛ إذ إنه أهمل ما ليس له معنى في الإتباع، ويعتقد الدكتور حسين نصار أن الإتباع ظاهرة لُغوية عامة لا تختص بالعربية وحدها، بل تشترك بعض اللغات الأخرى مع العربية في قضية الإتباع كاللغة الإنجليزية والفرنسية[١٦].

وساق الدكتور حسين نصار الشروط والمعايير التي بناءً عليها قسم اللُّغويون الإتباع، فذكر جملة من هذه الشروط والأسس وهي على النحو التالي:

١- الإتباع من حيث المعنى، وانقسم اللُّغويون في النظر إلى الإتباع من حيث المعنى فذهب فريق منهم أن التابع لا معنى له في الأصل، وهو ما ذهب إليه ابن الأعرابي والآمدي وسار على نهجهما ابن الدهان والرازي، وذلك مثل شيطان ليطان فذكر الآمدي أن التابع وهو قولهم ليطان لا معنى له أصلًا، وذهب الفريق الآخر من العلماء إلى أن التابع قد يكون له معنىً ومنهم أبو علي القالي، وأبو الطيب اللُّغوي، وأحمد بن فارس، وابن بري، والتاج السبكي[١٧].

٢- الإتباع من حيث الصورة، ومن العلماء الذين اشترطوا وجوب اتفاق التابع والمتبوع في الحرف الأخير وهو ما يصطلح عليه بلاغيًا باسم السجع[١٨]، أبو علي القالي، وممن كانت له فلسفة لغوية مغايرة لأبي علي القالي أبو الطيب اللُّغوي وأحمد بن فارس اللذان لم يشترطا وجوب اتفاق المتتابعين في الحرف الأخير في بعض الحالات الشاذة[١٩].

٣- الإتباع من حيث التعبير، اتفق اللُّغويون على وجوب اتصال المتتابعين وعدم إتيان أحدهما منفصلًا عن الآخر؛ إذ يعد ذلك خلل في إضفاء صبغة الإتباع على كل لفظ على حدة، واختلف العلماء في قضية توسط أداة العطف بين المتتابعين فرأى بعض العلماء وجوب عدم توسط حرف العطف ومنهم الكسائي وأبو عبيد وابن بري، في حين ذهب أبو الطيب إلى جواز توسط أداة العطف بين التابع والمتبوع[٢٠].

٤- الإتباع من حيث الغرض، وانقسم اللُّغويون في تحديدهم الغاية من الإتباع فذهب فريق منهم مثل الكسائي وأبو علي القالي وابن الدهان إلى أن القالي اشترط مجيء التابع بمعنى المتبوع، مثل شيطان ليطان، وأما ابن فارس فيرى للإتباع غرضين هما التوكيد والإشباع[٢١].

قسم حسين نصار الإتباع قسمين: إتباع في المفردات وإتباع في التراكيب، وقسم الإتباع في المفردات قسمين: إتباع في الحركات وإتباع في الحروف[٢٢]، ويميل الدكتور حسين نصار إلى أن الغرض الرئيس للإتباع هو تحقيق سهولة النطق ويسر الكلام لدى المتكلم، وكذلك إضفاء لمسة جمالية على شعور السامع.

وقد عرف عباس حسن في كتابه "النحو الوافي" الإتباع وأطلق عليه مصطلح "الأتباع" بفتح الهمزة بدلًا من كسرها، فالإتباع في رأيه هو كلمة زائدة مسموعة غير مستقلة بذاتها في الدلالة، بل تحتاج إلى كلمة أخرى لتبرز معناها، وذهب عباس حسن إلى أن الإتباع لا يتأثر بالعوامل النحوية ولا يعد من قبيل الإعراب والبناء، وأعلن عباس حسن أن للأتباع – بفتح الهمزة – أغراضًا كالمدح والسخرية أو مجرد التصويت والتنغيم مثل محمد حسن بسن، واللص شيطان ليطان، أو اللص عفريت نفريت[٢٣].

ومدار حديث عباس حسن على إتباع الكلمة بكلمة وليس عن ما عُرف عند العرب القدماء بالإتباع في الحركات، حيث إن إتباع الحركات لا ينضوي عند

علماء اللغة المحدَثين تحت مبحث الإتباع، وإنما تندرج هذه الظاهرة تحت ما أطلق عليه في الدرس اللُّغوي الحديث مصطلح المماثلة، وصلب هذا البحث هو دراسة ذلك النَّوع من أنواع الإتباع الذي يرتبط بالعلاقة التعاقبية بين لفظين فأكثر ولا يرتبط بالحديث حول إتباع الحركات؛ لأن هذه الظاهرة يتناولها المحدَثون تناولًا منفردًا ومستقلًّا عن ما اصطلحوا عليه بالإتباع، وهذا البحث يسلط الضوء على دراسة الإتباع بناءً على ما قرره علماء اللغة المحدَثون في دراساتهم اللُّغوية الحديثة.

بناءً على ما سلف يمكن القول: إن الإتباع هو تلازم واتحاد واتصال كلمتين أو أكثر بحيث تتضافر الكلمتان لتكونا مفهومًا ذا معنى ودلالة خاصة، بحيث يغدو هناك مصطلحًا يكتسب معنى مستقلًّا في ذاته، ولعل هذا يقترب من مفهوم التضام الذي أشار إليه الدكتور أحمد عفيفي في كتابه "نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي"[٢٤]، غير أن مفهوم التضام يتعلق بالجانب النحوي في ذاته، فهو يتصل بمسائل كتلازم المبتدأ والخبر والنعت والمنعوت والمضاف والمضاف إليه وغير ذلك، أما مفهوم الإتباع فهو ذو بعد لُغوي ودلالي، فهو لا يقتصر على بعض الأبواب النحوية، فهو أعم وأشمل، بيد أن مفهوم الإتباع مفهوم تراثي في حين مفهوم التضام مفهوم معاصر.

وتحدث د. أحمد مختار عمر عن المفهوم الاصطلاحي للإتباع فبين أنه: "توالي لفظين يتفقان في الوزن والرَّويّ بقصد تقوية المعنى، والثَّاني بمعنى الأول، أو غير ذي معنى، ولا يُستعمل منفردًا "حسَن بسَن– خبيث لبيث – شيطان ليطان"[٢٥].

ج– التداخل بين الإتباع وبعض المصطلحات المتقاربة:

يهدف هذا المبحث إلى تمييز الفرق بين الإتباع وبعض المصطلحات التي قد يكون بينها تداخل وإشكال في الدرس اللُّغوي، وهي: الإتباع والجناس الناقص، الإتباع والتوكيد، والإتباع والإبدال، وذلك على الشكل التالي:

- الإتباع والجناس الناقص:

الإتباع يقترب مما يطلق عليه البلاغيون مصطلح الجناس الناقص، فالإتباع توالي وتعاقب كلمتين على الترتيب مع اختلافهما في حرف واحد، أما الجناس الناقص فهو توالي كلمتين مع اختلافهما في حرف واحد مع عدم اشتراط الترتيب[٢٦]، فكلمتا (يقهر وينهر) في سورة الضحى ليستا متتابعتين على الترتيب، ويختلف الإتباع عن الجناس الناقص في الغرض، فالكلمة الثانية في الإتباع قد تكون مستقلةً في ذاتها ولكن عند ضمها إلى الكلمة الأولى تتولد دلالة جديدة مثل (ساغب لاغب)، وقد يكون الإتباع لغرض التوكيد مثل: (شيطان ليطان)، أما الجناس الناقص فهو ذو غرض جمالي يتمثل في لفت الانتباه وإحداث جرس موسيقي محبب إلى النفس. فساغب ولاغب وشيطان وليطان يعدان من حيث المنظور البلاغي نوع من أنواع الجناس، وهو الجناس الناقص، وهما وفقًا للدرس اللُّغوي يعدان إتباعًا.

- الإتباع والتوكيد:

عرف كثير من اللُّغويين قديمًا وحديثًا ظاهرة الإتباع، والخلاصة من هذه التعريفات أن الإتباع هو توارد زوج من المفردات أو أكثر، بحيث يؤدي الفصل بين هذه المفردات إلى اختلاف الدلالة وعدم تحقق معنى الإتباع، وهذه المفردات تكون على نفس الوزن والروي ومن ذلك: ساغب لاغب، وعفريت نفريت وغير ذلك.

أما التوكيد وهو على نوعين توكيد نحوي وهو أحد التوابع الأربعة وهي النعت والعطف والتوكيد والبدل، وهذا النوع ينقسم إلى توكيد لفظي وتوكيد معنوي، أما

التوكيد اللفظي فهو ذلك الضرب من التوكيد الذي يكون بتكرار اللفظ نفسه، والضرب الثاني من التوكيد هو المعروف بالتوكيد المعنوي والذي يكون بألفاظ محددة مثل: كل، وذات، وجميع، ونفس، وعين[٢٧]، وهذا القسم من أقسام التوابع النحوية واضح الدلالة لا يلتبس في معناه مع الإتباع اللُّغوي، وإنما التوكيد الذي يعد مشكلًا في مفهومه مع مفهوم الإتباع هو ذلك القسم الذي يشبه في صيغته صيغة الإتباع مثل: شيطان ليطان، فسئل بعض العرب عن كلمة ليطان؟ فأجابوا بما مضمونه أنها كلمة نقوي ونؤكد بها كلامنا.

ومما قد يظن أنه داخل في باب الإتباع إلا أنه إلى التأكيد أقرب؛ وذلك لأن الكلمتين المتواليتين متفقتان تمامًا في الأحرف والمعنى، وإنما أُتِي بالكلمة الثانية لتقوية الدلالة، ومن الأمثلة على ذلك في اللهجة المصرية قولهم: وحدة وحدة، كدة كدة، أوي أوي.. ومن الأمثلة كذلك في اللهجة التونسية قولهم برشا برشا، ومن هذا القبيل في اللهجة المغربية قولهم بزاف بزاف، ومن الأمثلة على هذا الضرب في اللهجة الليبية قولهم: هلبا هلبا، ومما يندرج تحت هذا النوع في اللهجة السعودية قولهم مرة مرة، ومنه في اللهجة الكويتية وايد وايد، حده حده.

ويسوق السيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللغة" مجموعة من الأمثلة التي تثبت اختلاف رأي العلماء إزاء قضيتي الإتباع والتأكيد، ومن هذه الأمثلة ما ذكره ابن الدهان في كتابه الغرة في باب التأكيد أن قول العرب عطشان نطشان قسم من الإتباع، وهو ينضوي تحت باب التأكيد عند أكثر اللُّغويين[٢٨].

واحتج الفريق الذي أخذ بهذا الرأي من العلماء بقول العرب أكتع وأصمع مع أجمع، فذكروا أن أكتع لا تأتي إلا مؤكدة بأجمع، ومن هنا بنوا رأيهم العلمي في هذه المسألة، ومن هذه الآراء أن التأكيد ينقسم إلى تأكيد بالتكرار وهو تعاقب كلمتين بنفس الحروف بقصد التأكيد مثل رأيت زيدًا زيدًا ورأيت رجلًا رجلًا، وترى جماعة أخرى من اللُّغويين أن هناك اتحادًا بين مفهوهي الإتباع والتأكيد في هذه

الألفاظ، ويرى قسم آخر من اللُّغويين أن التأكيد يختلف عن الإتباع بأن الأول يقترن بالواو أما الثاني فيخلو من الواو، وجنح بعض أهل اللغة إلى أن الإتباع يستقل في المعنى دون الحاجة إلى كلمة أخرى لإيضاح المعنى[٢٩].

يفرق أبو الطيب اللُّغوي بين مفهومي الإتباع والتوكيد، والمعيار عنده في ذلك هو المعنى، فإذا جاءت الكلمة الثانية منفردة في سياقها وكان لها دلالة معلومة دون الحاجة إلى المتبوع، فهي تعد من باب التوكيد مثل قسيم وسيم فيمكن الاستغناء عن إحدى الكلمتين ويبقى المعنى واضحًا، أما إذا وردت الكلمة متصلة بكلمة أخرى ولم يمكن الفصل بين الكلمتين بحيث يؤدي الفصل إلى فساد الدلالة فيكون ذلك من باب الإتباع[٣٠].

- الإتباع والإبدال:

الإتباع كما يتضح هو توالي كلمتين فأكثر شريطة وحدة الوزن والروي، في حين أن الإبدال هو عبارة عن إنابة صوت محل صوت آخر، ويكون كل من الصوتين متقاربين في المخرج غالبًا، ومن ذلك ما ورد في كتاب الإتباع لأبي الطيب اللُّغوي في قولهم: إنه لخاسر دامر، والدامر الهالك، فإذا أبدلت الميم باء فقيل خاسر دابر بالباء، فهو إتباع قطعًا أو تكون الباء مبدلة من الميم[٣١].

نماذج من الإتباع في الحديث الشريف:

تتعدد مصادر البحث اللُّغوي عند العرب فمنها: القراءات القرآنية، والحديث الشريف، وكلام العرب شعرًا ونثرًا، وسيسلط هذا البحث الضوء على دراسة الإتباع في نماذج من الحديث الشريف، وذلك لكثرة ورود هذا الظاهرة في الحديث الشريف، ولما يحتله النص النبوي من سمو بياني، وثراء لُغوي، وسيعالج الإتباع في مختارات من الحديث الشريف من النواحي الصوتية والدلالية والبلاغية، وسترتب الأمثلة ترتيبًا أبجديًّا، وذلك على النحو الآتي:

١. جُردًا مُردًا:

قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في وصف أهل الجنة: "يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُردا مُكَحَّلِينَ"[٣٢].

ومعنى جرد: وهي جمع أجرد خلو البدن من الشَّعر[٣٣]، والمرد ومفردها أمرد، والرجل الأمرد هو الذي لا شَعر في ذقنه[٣٤]، فجرد مرد تجسد دلالة الخلو والفراغ من الشَّعر[٣٥].

وموضع الإتباع في الحديث قول النبي: جردًا مردًا، فالتابع كلمة مردًا والمتبوع كلمة جردًا، والإتباع حدث بين صوتي الجيم في المتبوع والميم في التابع، والإتباع في الحديث إتباع اسمي.

وبعد الإشارة إلى معنى جردٍ مردٍ، ومعرفة التابع والمتبوع، يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي: ما مدى الارتباط بين المتتابعين على المستوى الوظيفي لمستعمل اللغة؟ بعبارة أخرى هل يستطيع منتج الخطاب اللُّغوي استعمال المتبوع بمعزل عن التابع؟.

يبيح النظام اللُّغوي قول كلمة جرد كما يبيح قول كلمة مرد، فلكل كلمة دلالة خاصة، فمن الجائز لغويًّا أن يقال: رجال جرد، فقطع الإتباع وعدم اللجوء إليه مباح ومسوغ في دائرة الاستعمال اللُّغوي.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا جاء الحديث على هذا النحو؟.

لا ريب أن في الانزياح الأسلوبي إلى الإتباع مقاصد دلالية وغايات بلاغية منها:

رسم الصورة الصحيحة المراد إيصالها إلى المتلقي، إن كلمة جردًا تعني خلو البدن من الشَّعر وعدم وجود الشَّعر في جسم الإنسان آية وهن وعلامة ضعف، فالصورة النمطية والنظرة السائدة إلى الشخص ذي البدن المجرد من الشَّعر نظرة مرض وداء، فيظن غالبًا إصابته بمرض وسقم فكأن هناك ارتباطًا شرطيًّا بين تجرد البدن من الشَّعر والمرض.

ومن هنا جاء الحديث متضمنًا للإتباع، ليزيل التصور الخاطئ الذي قد يتوهم، والتابع هو السبيل إلى توجيه الأفهام إلى التصور السليم، فلفظة مرد ومفردها أمرد يراد بها عدم وجود شَعر اللحية في الوجه، ومما هو معروف اجتماعيًّا أن عدم وجود شعر الذقن يُشعر الرجل بالصغر، ولعل كثيرًا من الرجال الذين بلغوا من العمر مبلغًا يشعرون بأنهم يتمتعون بريعان الشبيبة عند حلق اللحى.

بناءً على هذا فالتضافر اللُّغوي بين المتتابعين يفضي إلى نعت أهل الجنة بأنهم جردٌ مردٌ، وأن عدم تغطية الجسم بالشَّعر وحلق اللحية صفات جمال في الجنة، فالمعايير والأحكام تتباين بين الدنيا والجنة، فقد يكون لوصفي جرد مرد دلالة سلبية في الدنيا، ولكن تصير الدلالة السلبية إيجابيةً في دار النعيم.

وبالإضافة إلى دور التضافر اللُّغوي في توجيه المعنى وتعزيزه يكشف الإتباع دلالة الاقتصاد اللُّغوي حيثُ التعبير عن المراد بألفاظ قليلة، فالاقتصاد اللُّغوي في جرد مرد خير من الإسراف اللُّغوي فيقال: يدخل أهل الجنة جردًا مردًا أبلغ من أن يقال: يدخل أهل الجنة ليس على أبدانهم ولا في وجوههم شَعر.

لا تنحسر الأبعاد الدلالية للإتباع فيما سلف، بل تعضد وتعزز هذه الدلالات بدلالة ذات طابع بديعي متمثلًا في الجناس الناقص بين المتتابعين والذي يضفي مسحة نغمية تطرب المتلقي وتسترعي انتباهه[٣٦].

من الناحية الصوتية، يكون تحليل صوتي الجيم في المتبوع والميم في التابع كما يلي:

صوت الجيم: صوت صامت لثوي حنكي مركب مجهور مرقق.

صوت الميم: صوت صامت شفتاني أنفي مجهور مرقق[٣٧].

يظهر في ضوء الملامح الصوتية السابقة الاختلاف بين صوتي الجيم والميم في الخصائص الصوتية ما عدا صفتي الجهر والترقيق، والجهر في الصوتين ينسجم ويأتلف مع الطبيعة الدلالية لتعبير جرد مرد، فمن دلالات الجهر المعجمية

العلانية، وخلو كل من البدن والوجه من الشَّعر أمر يمكن ملاحظته، فهو مسألة مرئية ومعلنة، فمن الممكن ملاحظة علاقة اتحادية تعزيزية بين الجهر بحلته الدلالة المعجمية وبين المعنى الدلالي للإتباع.

ومن الصفات الصوتية التي يتباين فيها التابع والمتبوع صفة المخرج، فمخرج صوت الجيم اللثة والحنك، ومخرج صوت الميم هو الشفتان، ولعل ثمة تناغم وتجانس بين مخرج الميم ودلالة كلمة مرد، فمخرج الميم من الشفتين.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى ورود الإتباع بصورة يحل التابع فيها محل المتبوع كما جاء في الحديث: "يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي صُورَةِ آدَمَ، مِيلَادُ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مُرْدًا جُرْدًا مُكَحَّلِين"[٣٨].

٢. خالدة تالدة:

جاء في الحديث: "خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَأْخُذُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ" في وصف حادثة تسليم مفاتيح الكعبة، ومعنى خالدة أي باقية للأبد، فهي من الخلود نقيض الفناء، فمفاتيح الكعبة في يدهم على سبيل الدوام والبقاء، فتسليم الرسول مفاتيح الكعبة لهم تسليم على سبيل الديمومة لا التأقيت، وأتبعت كلمة "خالدة" بكلمة "تالدة"، ومعنى تالدة مشتق من تليد وهو العريق الأصيل القديم[٣٩]، وإتباع كلمة تالدة لكلمة خالدة يضفي دلالات تثري المعنى السياقي للحديث الشريف، فالتوظيف النبوي لظاهرة الإتباع في هذا الحديث يعطي مزيدًا من الكثافة الوصفية للموصوف، فقد وصف المأخوذ بالبقاء والعراقة والقدم، وقد أفاد التابع بيان القدم والأصالة في استلام بني طلحة لمفاتيح الكعبة، ولو استغني عن التابع لما تحقق الثراء الدلالي، فلو قيل "خذوها يا بني طلحة خالدة" لأفادت كلمة خالدة معنى البقاء حصرًا، ولما اشترط معنى القدم والأصالة، ولكن بالإتباع حدث نوع من الاتساع اللُّغوي الثراء الدلالي.

فيتضح من الإتباع في الحديث دلالات مثل الشمولية الوصفية، فقد وصفت المفاتيح بصفتي البقاء والعراقة، وفي ذلك شمول لعنصر الزمن أي مدة البقاء، وعنصر التراث أي مدى القدم والعراقة، ومن دلالات الإتباع أيضًا الإيجاز، فقد أسهم الإتباع في التعبير عن معانٍ متعددة، فبدلًا من أن يقال خذوها خالدة باقية إلى الأبد وهي تتصف بالقدم والأصالة والعراقة، فقد عبر المتعاقبان عن كل هذه الدلالات بإيجاز، وبالنظر إلى الحديث يمكن استنتاج دلالة للإتباع تتلخص في إثبات الصفة ونقيضها باختلاف الموصوفين، فقد أثبت الإتباع ضمنًا صفة العدالة للذين تسلموا مفاتيح الكعبة من الرسول، وذلك بوصف الآخذ لهذه المفاتيح بالظلم والجور، فوصف الآخذ بالظلم يدل ضمنيًّا على إثبات صفة العدالة للمأخوذ منه.

والإتباع بين كلمتي "خالدة" و"تالدة" في الصوت الأول من الكلمتين، ويمكن وصف صوتي الخاء والتاء على النحو التالي:

الخاء: صوت صامت أقصى حنكي احتكاكي مهموس.

التاء: فهو صوت صامت لثوي أسناني انفجاري مهموس[٤٠].

فيلحظ اتفاق الصوتين في صفة الهمس مع اختلافهما في الخصائص الصوتية الأخرى، ولعل الهمس الكامن في الصوتين يتلاءم مع دلالة المتتابعين، حيث البقاء والدوام والأصالة والعراقة، فهذه الدلالات تتناسب مع طبيعة الصوت المهموس إذ الركود والاستقرار والسكون.

والإتباع في هذا الحديث مجرد من أداة العطف وهو إتباع اسمي، ومن الناحية الصرفية جاء المتتابعان بصيغة اسم الفاعل الذي يدل على الثبوت والحدوث.

٣. شَحِيحٌ صَحِيحٌ:

أخرج الشوكاني في نيل الأوطار عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قوله: "وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ أَوْ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَمَا وَأَبِيك لَتُنَبَّأَنَّ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ شَحِيحٌ صَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَلَا تَمَهَّلْ حَتَّى إذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ" رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إلَّا التِّرْمِذِيَّ[٤١]، ومعنى صحيح أي معافى من الأمراض سليم من الأسقام يتمتع بوافر الصحة، ومعنى شحيح البخيل شديد الحرص على المال الذي ينفق على استحياء ووجل خشية الإملاق، فمعنى الحديث أن يتصدق الرجل وهو في كامل صحته وهو شديد الحرص على المال حتى أنه يكاد يخاف الفقر وهو يرجو الغنى.

عند التأمل في الحديث يلحظ وجود إتباع بين كلمتي شحيح وصحيح، والدليل على ذلك اتفاق الكلمتين في الأحرف إلا حرفًا واحدًا وهو فاء الكلمة أي الحرف الأول منها، وهو ما يشبه الجناس الناقص عند علماء البلاغة، والسبب الثاني الاتفاق في الوزن والروي أيضًا، أما السبب الثالث أن الفصل بين التابع والمتبوع يؤدي إلى خلق دلالة مغايرة للدلالة الأصلية في الحديث، وجاء الإتباع خاليًا من أداة العطف الواو، وهو إتباع اسمي.

وتعاقب الكلمتين وتمازجهما يفضي إلى دلالات متعددة منها: إيضاح الإبهام في بيان حال المتصدق؛ لأنه قد يفهم أن يتصدق الرجل المحب للمال حبًّا جمًّا شريطة شعوره بالضعف والمرض، فأتت كلمة (صحيح) لتزيل الإبهام وتكشف الغموض وتبين بيانًا دقيقًا حال الرجل المتصدق، ومن الدلالات كذلك الإيجاز فقد عبر التعبير النبوي شحيح صحيح عن معانٍ متعددة بألفاظ موجزة قليلة، فبدلًا من أن يقال: إن تتصدق وأنت معافى في بدنك وتتمتع بصحة جيدة وأنت تعبد المال وتخشى الإنفاق، استوعبت هاتان الكلمتان عن طريق توظيف ظاهرة الإتباع كل هذه الدلالات والمعاني.

من الدلالات الوجدانية للإتباع جذب الانتباه وإحداث جرس موسيقي محبب للنفس، وهذا يظهر في الجناس الناقص بين شحيح وصحيح حيث إن سر جمال

الجناس هو ما أداه الإتباع في الحديث، والإتباع دور في تحقيق دلالات اجتماعية تتمثل في الحث والحض على المسارعة إلى التصدق وقت الصحة لا السقم، فكلمة صحيح بامتزاجها مع كلمة شحيح حملت دلالات الترغيب والتشجيع على التصدق حال الصحة واغتنام هذه النعمة قبل المرض، وبالإضافة إلى الدلالات السابقة يتمخض عن الإتباع دلالات نفسية تظهر من خلال غرس قيمة الإنفاق في النفس الإنسانية وتزكيتها من عبودية المال، فإرداف كلمة صحيح بكلمة شحيح يحمل في طياته عدم التعلق بالمال، وذلك يتضح من خلال تلاحم الكلمتين، فاشتراط الصحة والشح معًا يدفع النفس البشرية إلى البذل والعطاء وإن كان الإنسان لا يملك إلا ما يكاد أن يسد به رمقه، فتقييد التصدق بالصحة يدفع الإنسان إلى دوام الإنفاق واستمرار التصدق؛ وذلك لأن الصحة والسلامة من الأمراض هي الأصل، والسقم هو الأمر العارض، فكأن التوجيه النبوي يدعو إلى الاستمرار في التصدق وهذا الأمر الذي حققه الإتباع.

علاوةً على ما أورد من دلالات يكشف الإتباع بين كلمتي شحيح وصحيح عن دلالة شرعية تبرز في بيان الصفات المثلى للمتصدق، فالمتصدق الواقف على أعتاب الفقر وهو معافى مما يكدر صفو صحته هو الأعلى في السلم الهرمي للمتصدقين، فهو أفضل ممن يتصدق وهو ثري مترف، وممن يتصدق في حال قعود الدهر به، وعامل الإتباع في كلمتي شحيح وصحيح معيار التفاضل وميزان التمايز، فقد أدى الإتباع دورًا دلاليًّا وعقديًّا في تصنيف المتصدقين وترتيب منازلهم، ففسر الإتباع الأفضلية والخيرية في المتصدقين، فالخيرية والسبق للمتصدق الشحيح الصحيح.

ومن اللمسات البلاغية للإتباع بين كلمتي (صحيح شحيح) الجناس الناقص الذي يستميل القلب ويجذب الانتباه بجرسه الموسيقي[٤٢].

أما بالنسبة إلى التحليل الصوتي لصوتي الشين والصاد وقد حدث الإتباع بينهما، فتحليل كل منهما على الشكل التالي:

صوت الشين: صوت صامت لثوي حنكي احتكاكي مهموس مرقق.

وصوت الصاد: صوت صامت لثوي احتكاكي مهموس مفخم.

فعند التأمل في الخصائص الصوتية للصوتين يلمح اشتراكهما في صفتي الاحتكاك والهمس واختلافهما في الترقيق والتفخيم[٤٣].

عند إمعان النظر في صفتَي الترقيق والتفخيم في صوتي الشين والصاد في الإتباع المتمثل في كلمتَي شحيح وصحيح، يمكن استنباط الرابطة الدلالية بين الصوت والمعنى، فرقة صوت الشين تنسجم مع قلة بذل المتصدق للمال وشحه، وتفخيم صوت الصاد في التابع يتناسب مع الصحة والسلامة البدنية، فالقوة الناجمة من الأثر الصوتي لتفخيم صوت الصاد تلائم القوة والحيوية التي يشعر بها الإنسان في صحته.

وتحقق الثنائية الصوتية بين الترقيق والتفخيم بين المتتابعين دورًا في رسم صورة تقابلية توضح المعنى بين المتتابعين في الصوت الأول، فكلمة شحيح تتضمن عنصر الندرة في الإنفاق، وكلمة صحيح تتضمن عنصر القوة، فالندرة في الإنفاق بوجه عام يكون سببًا للضعف الإيماني المتمثل في هيمنة المال على صاحبه وخضوعه له، فكأن هناك مقابلة دلالية توضح المعنى وهو التصدق في الضعف والقوة.

٤. صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ:

جاء في الحديث في وصف حفصة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم: "رَاجِعْهَا فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي الْجَنَّةِ"[٤٤].

ومعنى صوامة كثيرة الصيام، والصيام لغة الإمساك، وشرعًا الإمساك عن المفطرات من الفجر حتى المغرب[٤٥]، ومعنى قوامة كثيرة القيام أي كثيرة التهجد في قيام الليل[٤٦].

ويلحظ الإتباع بين كلمتَي صوامة وقوامة، والتابع في هذا الحديث يتمتع بدلالة مستقلة عن التابع، فيمكن الفصل بين المتتابعين فيقال امرأة صوامة، وامرأة قوامة ولكن الفصل بين المتتابعين لا يفضي إلى الدلالة نفسها التي يحققها الإتباع، والدلالات التي يؤديها استخدام الإتباع تتمثل في ما يلي: تكوين شبكة ممتدة من الدلالات والصفات، فليس المراد بقول صوامة قوامة مجرد الوصف بكثرة الصيام والقيام، ولكن المراد الوصف بسلوك السراط المستقيم وانتهاج النهج القويم والالتزام بما جاء به الشرع من تعاليم، ومن الأمثلة التي توضح هذه الفكرة قولهم عندما يسأل عن أخلاق رجل فيقال: رجل "مصلٍّ مسمٍّ"، فليس المقصود نعته بالصلاة والتسمية فحسب وإنما المقصود نعته بالالتزام الديني واتصافه بحسن الخلق والسمعة العطرة، وهذا المعنى لا يتأتى دون توظيف الإتباع.

ومن الفوائد الدلالية للإتباع أيضًا انزياح المعنى الحقيقي الحرفي للفظ وإحلال المعنى المجازي محله، فهناك معنى مُزاح وهو مجرد الإخبار بالصيام والقيام، ومعنى حالٌّ وهو إثبات وتقرير التقوى والورع والزهد، فقد لعب الإتباع دورًا رئيسًا في الكشف عن المعنى المكنَّى عنه، وإلى جانب الدلالات السابقة ثمة دلالة أخرى أداها تعاضد العامل الوظيفي لاستخدام الإتباع والعامل الدلالي والصرفي المتمثل في المبالغة في توكيد نسبة الفضل لصاحبه، أي أن تضافر التابع والمتبوع أسهم في القطع بإثبات الصفة للموصوف، بمعنى أن تعاقب التابع والمتبوع أدى إلى تكثيف الدلالة، فلو اكتفي بقول صوامة أو قوامة وحدها لما تحقق المعنى نفسه، ومن الدلالات التي نتجت عن الإتباع دلالة الإيجاز (إيجاز القصر)، فقد عبر المتتابعان عن دلالات متعددة بألفاظ موجزة[٤٧]، فبدلًا من أن يقال امرأة كثيرة

الصيام والقيام حسنة الخلق عُبر عن كل هذه المعاني عن طريق إيثار التوظيف النبوي للإتباع.

وقد ورد الإتباع في الحديث بصورة الإتباع الاسمي وجاء مجردًا من أداة العطف الواو، وحذف أداة العطف فيه مزيد من الإيجاز اللفظي والدلالي.

أما من المنظور الصوتي فيمكن وصف صوتي الصاد والقاف وهما الصوتان المتتابعان على النحو التالي:

الصاد صوت صامت لثوي احتكاكي مهموس مفخم.

القاف صوت صامت لهوي انفجاري مهموس مرقق[٤٨].

فيلحظ اشتراك الصوتين بصفة الهمس واختلافهما في الخصائص الصوتية الأخرى.

والسؤال هل يوجد ارتباط دلالي بين طبيعة الصوتين والمعنى؟.

الواقع أن المتأمل تأملًا لغويًّا يجد أن صفة التفخيم في صوت الصاد تشعر بالقوة في الصيام؛ وذلك بسبب الأثر الصوتي لصوت الصاد على الأذن، وصفة الانفجار في صوت القاف توحي بشدة وقوة القيام، والحدس الصوتي والذائقة الصوتية يشعران بهذا المعنى.

لعل الصورة تتبلور لو استبدل صوت الصاد بصوت السين فقيل "سوّام" لما شعر السامع بالإحساس الصوتي المتحقق في صوت الصاد، أما بالنسبة لصوت القاف فإن الحبس المؤقت لتيار الهواء واندفاع الصوت هو المشعر بقوة صوت القاف، والمحصلة من التحليل الصوتي أن صفة التفخيم في التابع وصفة الانفجار في المتبوع لهما وظيفة صوتية ودلالية تجسدت في الإتباع.

٥. طلق ذلق:

أخرج البخاري في مصنفه "الأدب المفرد" الحديث الآتي: "حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي الْوَهْطِ -يَعْنِي أَرْضًا لَهُ بِالطَّائِفِ- فَقَالَ: عَطَفَ لَنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِصْبَعَهُ فَقَالَ: "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ يَصِلْهَا يَصِلْهُ، وَمَنْ يَقْطَعْهَا يَقْطَعْهُ، لَهَا لِسَانٌ طَلْقٌ ذَلْقٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٤٩].

وذكرت المعاجم معنى طلق وذلق، فمن معاني طلق غير المتعثر والمتلعثم في الكلام نحو لسان طلق[٥٠]، ومعنى ذلق فصيح بليغ، فدلالة طلق ذلق تدل على سلامة اللسان ووضوح البيان[٥١].

وموطن الإتباع في الحديث الشريف قول: طلق ذلق فقد وقع الإتباع بين صوتي الطاء والذال، وهو إتباع اسمي، وطلق ذلق صفة مشبهة، ومن الممكن من الناحية اللُّغوية الاكتفاء بالمتبوع دون التابع، فتجيز اللغة قول: لسان طلق ويكون المعنى مستقيمًا، وبما أن رب الفصاحة وصاحب البيان لا يضمّن كلامه ما يخدش به فصاحته وينقص بلاغته فلا مناص إذن من إن للإتباع غايات دلالية ونكت بلاغية، منها:

من الدلالات التي يتآزر المتتابعان لتحقيقها دلالة إسناد البلاغة وجمال المنطق البياني للمنعوت، فنعت لسان صلة الرحم بأنه طلق لا يعني بالضرورة تحليه بالبلاغة وسحر البيان، وذلك أن الإنسان قد يسلم لسانه من مشكلات النطق كالتعثر في الكلام والتلعثم والتأتأة وغيرها، ومع هذا لا يكون كلامه واضح المرامي حسن البيان، لذلك تضافر المتتابعان لإثبات صفة البلاغة في لسان صلة الرحم.

ومن الخصائص الدلالية للإتباع إضفاء صبغة شعورية ودلالة وجدانية، فتكلُّم صلة الرحم بلسان ذلق تدعو أن يصل الله من وصلها ويقطع من قطعها من شأنه أن يضفي صبغة الشعور بالغضب والرضا، فلا يُحتاج إلى البلاغة إلا للتعبير عن الانفعالات الشعورية والأحاسيس العاطفية أو لإيصال فكرة ورسالة

محددة، وبالمحصلة أضفى الإتباع دلالة الشعور والقدرة على التعبير والبوح بالرضا والسخط لصلة الرحم.

وبعد عرض بعض الفوائد الدلالية للإتباع في الحديث المدروس، فمن الحسن ذكر بعض الجوانب البلاغية لها، وذلك كما يأتي:

للإتباع فوائد بلاغية منها: براعة التصوير وعمق الخيال، فأفاد الإتباع دلالةً مجازيةً تتجسد في الاستعارة المكنية، فقد شبهت صلة الرحم بإنسان يتكلم ببلاغة وسمو بياني، وسر جمال الاستعارة التشخيص ورسم صورة حسية توضح المعنى وتقربه إلى الأذهان[٥٢].

وإلى جانب تجسيد الإتباع لون بياني هو الاستعارة، يحقق الإتباع ظاهرةً بلاغيةً هي الإيجاز (إيجاز القصر)، فعبر الإتباع عن دلالات كثيرة بألفاظ قليلة[٥٣]، فبدلًا من قول: لسان ليس فيه تعثر وتلعثم في الكلام وهو فصيح وبليغ وذو بيان، حقق إيجاز القصر هذه الدلالات بلا خلل ولا ملل.

بالإضافة إلى الاستعارة والإيجاز يتضمن الإتباع محسنًا لفظيًّا هو الجناس الناقص، والذي يجذب انتباه السامع ويؤثر في وجدانه من خلال جرسه الموسيقي[٥٤].

وأما من حيث المستوى الصوتي فيمكن وصف صوتي الطاء والذال كما يلي:

صوت الطاء صوت صامت لثوي أسناني انفجاري مهموس مفخم.

وصوت الذال صوت صامت ما بين أسناني احتكاكي مجهور مرقق[٥٥].

يلاحظ في ضوء الملامح الصوتية المذكورة اختلاف الصوتين في الملامح الصوتية جميعها، فالصوتان متباينان في الهمس والجهر مثلًا، وتدور المعاني المعجمية للهمس في أفق الخفاء والخفوت وعدم الوضوح، وهذا المعنى يتناسب مع البيئة الدلالية للمتبوع طلق، فتدل كلمة الهمس على معنى الخفاء وهذا ينسجم مع عدم ظهور البلاغة وخفائها في المتبوع، ومن الجهة الأخرى تتلاءم دلالة

الجهر مع الفضاء الدلالي للتابع، فمن معاني الجهر العلانية والظهور[٥٦]، الأمر الذي يتناسب مع دلالة كلمة ذلق، فكلمة ذلق تعني البلاغة، وبلاغة اللسان أمر معلن يعرفه الناس، ولهذا السبب هناك ارتباط وثيق بين الدلالة والمدلول.

وورد الحديث بألفاظٍ أخرى منها ما جاء عند السيوطي في الدر المنثور:" وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَالْحَاكِم وَصَححهُ عَن عبد الله بن عَمْرو عَن النَّبِي –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– قَالَ: تَجِيء الرَّحِم يَوْم الْقِيَامَة كحجنة المغزل فتتكلم بِلِسَان ذلق طلق فتصل من وَصلهَا وتقطع من قطعهَا"[٥٧]، وعند سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير: "وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلم: توضع الرحم يوم القيامة لها حجبة كحجبة المغزل تكلّم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها، وتصل من وصلها"[٥٨].

وقد ورد الحديث بلفظ آخر وهو طلق زلق كما في كتاب "الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية" لسعيد حوّى: روى أحمد عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "يخرج عنق من النار يوم القيامة فتكلم بلسان طلقٍ زلقٍ لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إلهًا آخر، وبكل جبارٍ عنيد، وبمن قتل نفسٍ بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام"[٥٩].

٦. محفود محشود:

روي عن أم معبد عندما سألها زوجها عن وصف النبي –صلى الله عليه وسلم– فأخذت تبين حسنه وشمائله المباركة ومن ذلك: "وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ"[٦٠]. ومعنى محفود الرجل الموقر في عيون الآخرين، المبجل في نفوسهم المستجاب لطاعته وقد تأتي بمعنى المخدوم[٦١]، والمحشود الرجل الذي يتجمع حوله رفاقه[٦٢].

يعد تركيب محفود محشود مصداقًا من مصاديق الإتباع في الحديث، ويلحظ وقوع الإتباع في الصوت الثالث في كلمتي محفود ومحشود والسؤال: ما الدليل على صحة اتسام هذا التركيب بظاهرة الإتباع؟، والدليل على اتصاف تعبير: محفود محشود بعلاقة الإتباع:

أ. اشتراك اللفظين في الحرف الأخير، وهذا الشرط نفسه قد اشترطه ابن فارس كما مر في الفصل الأول من البحث.

ب. اختلاف اللفظين في حرف واحد وهذا شبيه بالجناس الناقص عند البلاغيين، فيظهر التباين بين صوتي الفاء والشين.

والسؤال هنا: هل من الممكن انفكاك المتتابعين من المنظور اللُّغوي؟.

إن من الممكن انفكاك أحد المتتابعين عن الآخر بحسب اللغة، فمن الممكن قول: رجل محفود، وقول: رجل محشود، إذا كان الأمر كذلك فما الفوائد الدلالية للإتباع؟.

للإتباع فوائد دلالية منها فوائد على المستوى السلوكي والعملي: مما أفاده الإتباع بيان أهمية ترجمة ما وقع في الفؤاد إلى عملٍ مُشاهَد وسلوك مُعْلَن، فالمحفود هو المبجل والمعظم في القلب، وتعظيم النبي بالقلب وحده دون التجمع حوله والسير على هديه واقتفاء أثره أمر فيه نقص، فأتى التابع ليبين هذا المعنى وما كان لهذا المعنى أن يبرز لولا الإتباع.

إلى جانب الدلالات السلوكية والعملية يسهم الإتباع في رسم ألوان بيانية وتحقيق مقاصد بلاغية منها: إيجاز القصر: ففي الإتباع معنى الإيجاز ودلالة التكثيف، إذ قلة اللفظ وكثرة المعنى[٦٣]، فمحفود محشود لفظ قليل يدل على معانٍ كثيرة تتمثل في أن النبي معظم ومبجل في النفوس ويجتمع حوله المسلمون، فقد كفى الإتباع مؤونة التعبير بكل هذه الألفاظ.

ومن المعاني البيانية التي عبر عنها الإتباع معنى الكناية فقد أدى توالي المتتابعين معنىً مجازيًّا وهو الكناية فمحفود محشود كناية عن إجلال النبي وملازمته، وسر جمال الكناية الإتيان بالمعنى مصحوبًا بالدليل عليه[٦٤]. ومن المميزات الدلالية والغايات البلاغية التي يفيدها الإتباع إلى جانب الإيجاز والكناية المحسن البديعي المتمثل في الجناس الناقص بين محفود محشود، إذ الاختلاف في حرف واحد، وقيمة الجناس جذب الانتباه وإحداث نغمة تطرب لها الأذن[٦٥]، وباستعمال الإتباع تحقق هذا الغرض البلاغي.

أما على صعيد المستوى الصوتي فيمكن وصف صوتي الفاء والشين كما يلي:

صوت الفاء صوت صامت شفوي أسناني احتكاكي مهموس مرقق.

أما صوت الشين: صوت صامت لثوي حنكي احتكاكي مهموس مرقق[٦٦].

في ضوء إيضاح الخصائص الصوتية السابقة لصوتي الفاء والشين يبرز اشتراكهما في جميع الخصائص الصوتية حاشا مخرج الصوت، ولعل الاتفاق الكبير في الملامح الصوتية يتناسب طرديًّا مع المستوى الدلالي للإتباع في المتتابعين، فالتآلف الصوتي بين صوتي الفاء والشين يتولد عنه انسجام دلالي بين الطبيعة الصوتية والمساحة الدلالية بين التابع والمتبوع، فاتفاق الفاء والشين في صفة الهمس من علامات التقارب بين الصوت والدلالة، فالصوت المهموس هو الصوت الذي لا يؤدي النطق به إلى تذبذب الوترين الصوتيين، والهمس من المنظور المعجمي والدلالي يجري في مضمار الخفت والإسرار وعدم الجهر، ونعت النبي بأنه محفود يلتقي دلاليًّا مع التوقير والتعظيم في القلب، فهناك ارتباط وثيق بين الدلالة الصوتية والدلالة اللُّغوية للهمس بجامع الخفوت وعدم الظهور في كلتيهما.

وفيما يتعلق بالهمس في التابع محشود فقد يبدو التقابل وعدم التجانس بين الدلالتين الصوتية واللُّغوية للهمس، فدلالة محشود تعبر عن الاجتماع والاحتشاد

والتجمهر، واجتماع الناس أمر معلن ومشاهد وهذا يتقابل دلاليًّا مع طبيعة الهمس، وصفة الهمس تتجانس وتتوافق صوتيًّا بين الدلالتين؛ وذلك لأن الهمس في التابع يوحي بلطيفة لُغوية وهي أنه ليس المراد مجرد الاجتماع والتزاحم حول النبي فقط، بل لا بد من الاحتشاد المقترن بتوقير وتبجيل النبي أمر محله الفؤاد، والخلاصة أن صفة الهمس في المتتابعين تنسجم صوتيًّا ودلاليًّا.

أما بالنسبة إلى الناحية الصورية أو البنائية للإتباع فيلحظ ورود المتتابع خاليًا من أداة العطف، ويصنف الإتباع على أنه إتباع اسمي على صيغة اسم المفعول.

وقد ورد هذا الإتباع كذلك في مصنف "الآحاد والمثاني" لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني "مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ يَحْسُدُهُ قَوْمُهُ لِمَا اللَّهُ نُورَهُ لَا عَابِسَ وَلَا يَعْتَدِيَ عَلَى أَحَدٍ بِشَرٍّ"[٦٧]، ومصنف "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي "مَحْفُودٌ مَحْمُودٌ مَحْشُودٌ"[٦٨].

ويلحظ ورود الإتباع بين ثلاث كلمات، فقد جاء عند ابن الجوزي زيادة في الرواية، وهذه الزيادة تتمثل في كلمة محمود.

٧. قسيم وسيم:

وقد تضمن الحديث الشريف شاهدًا آخر على الإتباع متمثلا في قول أم معبد: "رَأَيْتُ رَجُلا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ مُتَبَلِّجَ الْوَجْهِ، حَسِنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، قَسِيمٌ وَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ"[٦٩]. وأشار المعجميون إلى معنى قسيم فقالوا: قسيم الوجه أي حسن الوجه، وذكروا معنى وسيم فقالوا: جميل، فإذن القسامة والوسامة تدوران في دلالتهما المعجمية في فضاء الحسن والجمال والبهاء[٧٠].

ومحل الإتباع في هذا الحديث قول: قسيم وسيم، فالتابع كلمة وسيم والمتبوع كلمة قسيم، وجرى الإتباع بين فاء الكلمتين أي بين القاف والواو، والبرهان اللُّغوي

على صدق انطباق مفهوم الإتباع بينهما تماثلهما في الوزن والروي، وهذا القيد من القيود التي وضعها ابن فارس لإدراج الكلمتين في باب الإتباع، ويرى الباحث أن من الخصائص اللُّغوية للإتباع اتفاق المتتابعين في البناء اللُّغوي للكلمتين أي التشابه في الصيغة الصرفية، فقسيم وسيم كلتاهما صيغة مبالغة ومحشود محفود كلتاهما اسم مفعول وخالدة تالدة كلتاهما اسم فاعل.

وعند الفحص اللُّغوي للتابع والمتبوع في تركيب قسيم وسيم يظهر اتصاف التابع بكونه فضلةً، فمن الجائز لغويًّا أن يقال: رجل قسيم الوجه ويكون المعنى النحْوي والدلالي مستقيمًا في هذه الحالة، إذن ما النكت الدلالية والغايات البلاغية لإيثار أسلوب الإتباع؟.

من المعلوم عند علماء اللغة، وسادة البيان، أن من يمتلك ناصية اللغة والبلاغة لا يرجح كفة أسلوب لُغوي على آخر إلا عن بصيرة لُغوية وحكمة بيانية، ومن هنا فالعدول إلى الإتباع له دلالات لا تتحقق من دونه ومنها: الجزم والقطع باتصاف الموصوف بالصفة.

إن قول: رجل قسيم الوجه، يعني اتصاف الرجل بالجمال، والجمال مسألة نسبية تخضع للآراء والأمزجة والأذواق، فلهذا يأتي التابع ليؤكد ويثبت نعت الجمال، والتأكيد نابع من قرينة لفظية تتمثل في تواطؤ لفظي قسيم وسيم في التعبير عن الحسن والجَمال، فهذا إقرار وتأكيد ناشئ عن العدد، فوصف الموصوف بلفظين آكد وأقوى، فهذه قرينة لفظية أو عددية.

بالإضافة إلى القرينة اللفظية أو العددية هناك قرينة شمولية وعمومية، فالقسامة تصف ملامح الوجه من حيث شكله ولونه، أما الوسامة فلا تنحصر في الصفة الخَلْقِيَّة للوجه، بل تشمل إيماءات وتعبيرات الوجه كالابتسامة وطريقة الضحك، فيمكن قول: إن التابع وسيم أعم وأشمل من قسيم لتعبيره عن لغة الجسد أما المتبوع قسيم فيعبر عن الجانب الخَلْقي فقط.

وإلى جانب الدلالة السابقة فللإتباع نكت دلالية أخرى مثل: إفادة شيوع ملازمة النعت للمنعوت وذيوعها، فكلمة قسيم لا يشترط فيها شيوع معرفة الرجل بالحسن، في حين أن كلمة وسيم تدل على ملاصقة وارتباط الوسامة بالمنعوت وشهرة هذا وانتشاره بين الناس، والدليل على هذا الرأي أن من معاني الجذر اللُّغوي (وسم)[٧١]، ومن المواد التي تشتق من الجذر (وسم) قولهم: وسمية ومعنى وسمية المطر في الربيع.

فعند الربط اللُّغوي بين المواد اللُّغوية ذات الجذر اللُّغوي المشترك، يستنتج أن كلمة وسيم تدل على ذيوع الجَمال، وكأنها أصبحت علامةً مميزةً يعرف بها صاحبها، وبما أن من معاني وسم وسمية وتعني المطر في الربيع[٧٢]، فكأن شهرة جمال الربيع بين الناس قد مثلته كلمة وسيم، فقد اكتسى التابع بهذه الحلية الدلالية لاشتراكه في الجذر اللُّغوي مع المواد المعجمية الأخرى.

ومن فوائد الإتباع كذلك: المبالغة في نسبة الجمال إلى المنسوب إليه، وهذه الفائدة تلحظ من خلال الوظيفة الصرفية لصيغة فعيل المتحققة في المتتابعين، فصيغة فعيل صيغة مبالغة تفيد الكثرة والمبالغة في الصفة.

بعد ذكر بعض الدلالات اللُّغوية للإتباع فمن الجدير أن تعضد هذه الدلالات بدلالات بلاغية منها تضمن المتتابعين لأسلوب الإطناب بالترادف، والإطناب نقيض الإيجاز، فالإيجاز تعبير بالألفاظ القليلة عن دلالات كثيرة[٧٣]، بينما الإطناب ظاهرة بلاغية تعبر بالألفاظ الكثيرة عن معانٍ قليلة لفائدة[٧٤]، ومن صور الإطناب ما يعرف عند علماء البلاغة بإطناب الترادف، ويقصد به ورود لفظين مترادفين فأكثر للتعبير عن المعنى مع جواز الاستغناء عن الألفاظ المرادفة للفظ الأول دون إخلال في المعنى العام[٧٥].

ولعل المثال التالي يبرز الفكرة، فلو قيل:

هذا رجل كريم جواد سخي، فلفظا جواد وسخي مرادفان لكلمة كريم فكان من الجائز أن يقال: هذا رجل كريم فيفهم اتصاف الرجل بالكرم دون الحاجة إلى المترادفين، ولكن جيء بالترادف على سبيل التأكيد والتقوية للمعنى، ومن الجيد في هذا السياق الإشارة إلى أن المراد بالترادف الاتفاق العام في المعنى مع تميز كل لفظ بدلالته الدقيقة، وقضية الترادف لها شأن في كتب اللغة ولا يسمح المقام بالتفصيل في المسألة، فمدار الحديث حول الإتباع.

وبعد الشرح الموجز لإطناب الترادف يلحظ استيفاء قول: قسيم وسيم مفهوم الإطناب بالترادف، فالتابع مرادف للمتبوع في الدلالة العامة مع تميز التابع في جوهره الدلالي، فأفاد الإطناب التأكيد.

من الجانب البديعي، عند التأمل البلاغي في الإتباع من منظور علم البديع يلمح الجناس الناقص بين المتبوع قسيم والتابع وسيم، والجناس يضفي على الكلام جرسًا موسيقيًّا محببًا إلى النفس فهو ذو وظيفة موسيقية ونفسية[٧٦].

وبعد التحليل الدلالي والبلاغي للإتباع يجب الحديث حول وصف الأصوات ليكتمل رسم الصورة اللُّغوية للإتباع، عند الدراسة الصوتية للصوت الأول في المتتابعين تتضح الصفات التالية:

صوت القاف: صوت صامت لهوي انفجاري مهموس.

صوت الواو: صوت صامت أقصى حنكي احتكاكي مجهور[٧٧].

يتضح من الوصف السابق لصوتي القاف والواو اختلافهما في الخصائص الصوتية ومنها صفة الهمس والجهر، فالقاف المهموسة تتسق مع الأفق الدلالي لكلمة قسيم، فالهمس يحمل دلالة الرقة واللطف، والقسيم يشع منها معنى الحسن والجَمال، فوجه الشبه بين الدلالة المنطوقة والدلالة المنظورة لمفردة قسيم هو الجَمال واللطف والحسن.

وفي مقابل الصوت المهموس في المتبوع قسيم يوجد الصوت المجهور الواو في التابع وسيم، والجهر في التابع يتجانس مع الفضاء الدلالي لمعنى وسيم، فمن الاستعمالات الدلالية للجهر العلانية وهي نقيض السر، فعن طريق المزاوجة بين المعنى المعجمي والتحليل الصوتي يمكن الوصول إلى نتيجة فحواها أن معنى العلانية في كلمة الجهر يحاكي الشيوع والذيوع في التابع وسيم، فهناك جهر صوتي نطقي متمثل بالجانب الصوتي، وجهر دلالي واقعي متمثل في علانية معنى الجَمال في التابع وشهرة هذا بين الناس.

يتضح مما تقدم أن الإتباع في كلمتي قسيم وسيم في الحديث خلوهما من أداة العطف (الواو)، ومجيء الإتباع في هذا السياق إتباعًا اسميًّا.

لقد تعددت الروايات المشتملة على هذا الإتباع، ومن الجدير بالذكر مجيء بعض الروايات بزيادة تتمثل في كلمة جسيم، ومن ذلك: ما ذكره شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي في كتابه "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير": "فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش صاحب عين مكة يطعم الناس في السهل والوحوش على رؤوس الجبال يستأذن عليك، وأنا أحبّ أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له، وكان عبد المطلب رجلًا جسيمًا وسيمًا، فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على السرير، وأن يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه، ثم دعاه فأجلسه معه"[٧٨]. ومن ذلك أيضًا ما أورده أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي في "الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام": "وَكَذَلِكَ رُوِيَ أَنّ النّبِيّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ حِينَئِذٍ: إنّمَا أَنْتَ يَهُودِيّ مِنْ أَهْلِ صَفّورِيَةَ لِأَنّ الْأَمَةَ الّتِي وَلَدَتْ أَبَاهُ كَانَتْ لِيَهُودِيّ مِنْ أَهْلِ صَفّورِيَةَ، وَاسْمُهَا: تَرَنِي، قَالَهُ الْقُتَبِيّ، وَكَذَلِكَ قَالَ دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ النّسّابَةُ لِمُعَاوِيَةَ حِينَ سَأَلَهُ هَلْ أَدْرَكْت عَبْدَ الْمُطّلِب؟، فَقَالَ نَعَمْ أَدْرَكْته

شَيْخًا وَسِيمًا قَسِيمًا جَسِيمًا يَحُفّ بِهِ عَشَرَةٌ مِنْ بَنِيهِ كَأَنّهُمْ النّجُومُ قَالَ فَهَلْ رَأَيْت أُمَيّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ نَعَمْ رَأَيْته أُخَيْفِشُ أُزَيْرِقُ دَمِيمًا، يَقُودُهُ عَبْدُهُ ذَكْوَانُ، فَقَالَ وَيْحَك ذَاكَ ابْنُهُ أَبُو عَمْرٍو، فَقَالَ دَغْفَلٌ أَنْتُمْ تَقُولُونَ ذَلِكَ"[٧٩].

٨. همَّاز لمَّاز:

وأخرج السيوطي في الدر المنثور عن ما رواه عبدالله بن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قوله: "من مَاتَ همازًا لمازًا ملقبًا للنَّاس كَانَ علامته يَوْم الْقِيَامَة أَن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشدقين"[٨٠]، ومعنى (همازًا لمازًا) كما ورد في لسان العرب مادة همز: "الذي يَخْلُف الناسَ من ورائهم ويأْكل لحومهم، وهو مثل العُيَبَةِ، يكون ذلك بالشِّدْقِ والعين والرأْس"[٨١]، وذكر قول ابن الأعرابي: "الهُمَّازُ العَيَّابُونَ في الغيب، واللُّمَّازُ المغتابون بالحضرة؛ ومنه قوله عز وجل: ويلٌ لكل هُمَزة لمزة"[٨٢]. وقول ابن إسحق أيضًا: "الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويَغُضُّهم"[٨٣]. فيتضح مما ذكره ابن منظور أن معنى الهمز واللمز يدول في دائرة الغِيبة والتعيير وذِكر الآخرين بالسوء أثناء غيبتهم وحضورهم، والسؤال الذي لا مناص من طرحه: هل هناك إتباع في الحديث الشريف بين كلمتَي هماز ولماز؟، والجواب نعم هناك إتباع، والدليل على ذلك وحدة الوزن والروي بين الكلمتين، واختلاف الكلمتين في الصوت الأول منهما، والسؤال الثاني: هل التابع في الحديث الشريف عمدة أم فضلة؟، والجواب أن التابع في الحديث الشريف وهو كلمة (لمازًا) فضلة في الاستعمال اللُّغوي؛ لأنه يمكن إفرادها في كلام العرب، وعمدةٌ في الوظيفة الدلالية؛ إذ الاستغناء عنها يفضي إلى تغيير الدلالة.

ومن دلالات الإتباع في الحديث الاتساع في بيان هيئة صاحب الحال، بمعنى التعدد في إسناد الحال لصاحبه الذي يهمز ويلمز، ومن الدلالات كذلك رفع اللبس في إسناد الحال لصاحبه، بمعنى أنه قد يظن أن التهديد والوعيد لمن يذكر الناس بما يكرهون في غيبتهم حصرًا، ولكن تأتي كلمة لمازٍ لتزيل هذا اللبس، وتدل على

أن التهديد ينسحب كذلك على من يذكر الناس بالسوء في حضرتهم، أيضًا من الدلالات إضفاء صبغة بيانية على المعنى، فتضام كلمتَي هماز ولماز أفاد لونًا بيانيًّا وهو الكناية، فكأن المراد من توالي لفظي هماز ولماز كثرة الغيبة والتعيير، وهذا المعنى لا يتحقق دون اللجوء إلى الإتباع، ويظهر دور الإتباع كذلك في إحداث الجرس الموسيقي المحبب للنفس والذي يجذب انتباه المتلقي، ويتلخص معنى هذا الإيقاع الموسيقي في فكرة الجناس الناقص الحادث بين كلمتَي هماز ولماز، وبالإضافة إلى هذه الدلالات تلمح دلالة أخرى تتمثل في الإيجاز، فتضافر كلمتَي هماز ولماز أدى إلى معانٍ كثيرة تتمثل في اغتياب الآخرين ووصفهم بالصفات القبيحة والخصال السيئة في حضورهم أو في غيابهم، فقد عبرت الكلمتان عن كل هذه المعاني والدلالات بلفظين موجزين[٨٤]، وجاءت الكلمتان بصيغة المبالغة (فعّال) للدلالة على المبالغة والكثرة من الهمز واللمز.

ووردت مادة الهمز واللمز بمواد لُغوية متعددة ومن ذلك قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}[٨٥]، وفي الحديث الشريف: "حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، ثنا أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا مَا رَأَيْتَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ؟... قَالَ: ثُمَّ انْطُلِقَ بِي إِلَى خَلْقٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَثِيرٍ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُوَكَّلٌ بِهِمْ رِجَالٌ، يَعْمَدُونَ إِلَى عَرْضِ جَنْبِ أَحَدِهِمْ فَيَحَذُونَ مِنْهُ الْحَذْوَةَ مِنْ مِثْلِ النَّعْلِ، ثُمَّ يَضَعُونَهُ في فِي أَحَدِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ: "كُلْ كَمَا أَكَلْتُ" وَهُوَ يَجِدُ مِنْ أَكْلِهِ الْمَوْتَ، يَا مُحَمَّدُ– لَوْ يَجِدُ الْمَوْتَ وَهُوَ يُكْرَهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يا جبرائيل مَنْ هَؤُلاءِ: قَالَ: هَؤُلاءِ الْهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ أَصْحَابُ النَّمِيمَةِ فَيُقَالُ: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَهُوَ يُكْرَهُ عَلَى أَكْلِ لحمه"[٨٦]، وقد أورد أبو حاتم في تفسيره كلمتَي هماز لماز في قول ما رواه عبدالله بن عمر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «مَنْ

مَاتَ هَمَّازًا لَمَّازًا مُلْقِيًا لِلنَّاسِ، كَانَ عَلامَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَسِمَهُ اللَّهُ عَلَى الْخُرْطُومِ مِنْ كُلِّ الشِّدْقَيْنِ»[٨٧].

ويوصف صوت الهاء واللام في الإتباع بين كلمتَي همازٍ لمازٍ في الدراسات الصوتية بما يلي:

صوت الهاء صوت صامت حنجري احتكاكي مهموس مرقق.

وصوت اللام صوت صامت لثوي جانبي مجهور مرقق[٨٨].

فهناك علاقة تناسب بين الدلالة الصوتية والدلالة اللفظية للمتتابعين (هماز لماز)، فصوت الهاء صوت مهموس يتلاءم مع معنى الهمز الذي يكون بذكر عيوب الآخرين وبيان مثالبهم في غيابهم سرًّا، فطبيعة الصوت تتفق مع الخفاء، أما صوت اللام فهو صوت مجهور يتناسب مع طبيعة اللمز الذي يجري في حضور الآخرين، فطبيعة الصوت تتفق مع معنى الجهر والعلانية.

٩. هيّنٌ ليّنٌ:

في الحديث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "حرم على النار كلُّ هَيّن ليّن سهل قريبٍ من الناس"[٨٩]. فيتشخص الإتباع في هذا الحديث بقول النبي –صلى الله عليه وسلم– هين لين، ومعنى الهين واللين كما ورد في معاجم اللغة ما مقتضاه أن كلمة هين تجري في مدارها اللُّغوي على معنى الضعف والسهولة[٩٠]، وكلمة لين تحلق في أفق السماحة واليسر والمرونة[٩١].

وعند محاولة التدبر اللُّغوي لتعبير هين لين يتجلى مفهوم الإتباع بين لفظتَي هين ولين، والتابع في هذه العلاقة الإتباعية متميز ومتفرد في استعماله اللُّغوي والدلالي، فبالإمكان قول: رجل لين دون الحاجة إلى استخدامها في إطار الإتباع، إذن لا بد أن هناك عللًا دلاليةً لاستخدام الإتباع، فما هذه العلل؟.

للإتباع في قول النبي دلالات ومقاصد منها: الاحتراس من انصراف ذهن السامع إلى خلاف المعنى المراد، فلو قيل المؤمن هين لربما تبادر إلى فهم

المتلقي أن المؤمن الحق يجب أن يتصف بالسهولة والبساطة المتلبسة بشيء من الذل، فقد يفهم وكأن المؤمن هين إلى درجة أن يكون الضعف لازمًا من لوازم التحلي بصفة الإيمان، واللبس الذي من المحتمل حدوثه في فهم وإدراك قول النبي –صلى الله عليه وسلم– المؤمن هين يرجع إلى تفاوت الناس في الأفهام، وبالتالي تباينهم في تقدير ماهية الهين، فالنعت بالهين مسألة نسبية يختلف تقييمها باختلاف الأشخاص، فما يعده شخص ضربًا من ضروب التواضع قد يعده شخص آخر صنفًا من صنوف الهون، ومن هنا يبرز دور الإتباع في إبراز معنى الهين.

هنا قد يطرح إشكال آخر مفاده: لماذا لم يلحق الحديث صفة اللين دون الحاجة إلى صفة الهون؟، والجواب أن إلحاق صفة اللين إلحاقًا مباشرًا بالموصوف وهو (المؤمن) ينبني عليه دلالة سلبية، فصفة اللين بصورة مطلقة تحمل معنى سلبيًا، ومما يعضد هذا الرأي القول المأثور: (لا تكن يابسا فتكسر ولا تكن لينا فتعصر)[٩٢]، فقرن اللين بصفة سلبية وهي العصر وهي كناية عن الضعف واستغلال الآخرين، فيكون معنى اللين معنى غير محمود، وهذا من أسباب تتابع كلمتَي هين لين.

ولا تقتصر دلالات الإتباع على دلالة الاحتراس، بل تتنوع فتشمل دلالة إسناد الصفة لموصوفها على سبيل العزم والإرادة، أي إثبات تحلي المنعوت بالنعت عن قناعة واختيار لا عن كره وإجبار، والدليل على هذا التصور أن اجتماع المتتابعين يخلق معنى التواضع ودماثة الخلق، فكأن المعنى المؤمن متواضع، والتواضع صفة محمودة يود كل مؤمن التخلق بها، وبهذا تتضح أهمية الإتباع في ترغيب الموصوف وهو المؤمن في الاتصاف بصفتي الهين اللين عن رضًا وقبول.

وقد يسأل سائل في هذا المقام لماذا لم يستعمل الحديث النبوي الشريف تعبير المؤمن متواضع بلغة مباشرة بدلًا من المؤمن هين لين؟ والإجابة عن هذا

التساؤل: أن توظيف الحديث الشريف للإتباع يحقق غرضين رئيسين لا تحققهما كلمة متواضع وهما:

أ. تحقق الجناس الناقص وما ينتج عنه من جرس موسيقي محبب إلى النفس[٩٣].

ب. التعبير عن المعنى بلسان المجاز للتأثير والإقناع، فتعبير هين لين كناية عن التواضع والخلق السمح، والكناية تورد المعنى مصحوبًا بالدليل عليه[٩٤].

بالإضافة إلى ما سلف ذكره من دلالات الإتباع في الحديث فإنه لا يمكن نسيان دلالة الإيجاز، فإيجاز القصر إذ اللفظ قليل والمعنى كثير[٩٥]، فهين لين تعني الاتصاف بالتواضع والابتعاد عن الكبر والتخلق بخلق السماحة وغير ذلك من المعاني، فعُبر عن هذه المعاني بقول هين لين.

وتتضح الأهمية الدلالية للإتباع في الحديث في إفادة معنى التخصيص والحصر والقصر، فكأن المقصود المؤمن الحق هو المؤمن الهين اللين، فيفهم أن من شروط التحلي بالإيمان الصحيح الاتصاف بالهون واللين، فكأن كمال الإيمان منتفٍ بانتفاء هذا النعت، وليس المراد بالقصر هنا القصر بطرائقه المعروفة في علم البلاغة، ولكن المقصود القصر الادعائي المفهوم والمستنتج من العلاقة الإسنادية بين المسند والمسند إليه أي بين المبتدأ والخبر.

عند الدراسة الصوتية لصوتي الهاء واللام اللذين وقع الإتباع فيهما يظهر الآتي:

الهاء صوت صامت حنجري احتكاكي مهموس مرقق.

أما صوت اللام فصوت صامت لثوي جانبي مجهور مرقق[٩٦]

وبعد وصف صوتي الهاء واللام اتضح اختلافهما في الملامح الصوتية عدا صفة الترقيق، وهذه الصفة تنسجم صوتيًّا ودلاليًّا مع اتصاف المؤمن بصفة الهين

اللين، فكما أن هذين الصوتين رقيقان من حيث طبيعتهما الصوتية فالمؤمن هين لين رقيق الطبع من حيث طبيعته الخلقية.

بعد الإشارة إلى الصفة المشتركة بين صوتي الهاء واللام تجدر الإشارة إلى صفتي الهمس والجهر، فصفة الهمس في صوت الهاء تتلاءم مع سكون المؤمن ووقاره ويسر طبعه، أما صفة الجهر في صوت اللام فتتناسب مع قوة المؤمن، فاتصاف المؤمن بصفة اللين دليل قوة لا ضعف، فكأن المؤمن القوي حقًّا هو المنعوت باللين والسماحة، وجاء الإتباع بوصفه إتباعًا اسميًّا مجردًا من أداة العطف.

ولا بأس من بيان أن الحديث ورد بصيغ لغوية متعددة، فورد تارةً بالإفراد (هين لين)، وتارة أخرى بجمع المذكر السالم (هينون لينون)، ومن الجدير بالذكر مجيء الإتباع بصيغة المؤنث (هينة لينة).

١٠. ودود ولود:

جاء في كتاب مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني الحديث: عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "النِّسَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ، صِنْفٌ كَالْوِعَاءِ تَحْمِلُ وَتَضَعُ، وَصِنْفٌ كَالْعَرِّ وَهُوَ الْجَرَبُ، وَصِنْفٌ وَلُودٌ وَدُودٌ مُسْلِمَةٌ تُعِينُ زَوْجَهَا عَلَى إِيمَانِهِ، هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْكَنْزِ"[٩٧]، وورد هذا الحديث في سياق بيان معايير اختيار الزوجة الصالحة، ومن هذه المعايير أن تكون الزوجة ودودًا ولودًا، وسنسلط الضوء على هاتين الكلمتين لما فيهما من إتباع، فمعنى ودود المرأة المحبة لزوجها التي تسعى جاهدة لإرضائه[٩٨]، ومعنى ولود المرأة التي لا تأبى الإنجاب لأية علة من العلل[٩٩].

وعند التفكير اللُّغوي بكلمتي ودود ولود يتضح اتصافهما بالإتباع، والتابع في هذه العلاقة اللُّغوية يختلف باختلاف الروايات، فقد ورد عند السيوطي في الدر المنثور قول ودود ولود، وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَالْبَيْهَقِيّ عَن عمر بن الْخطاب قَالَ:

النِّسَاء ثَلَاث: امْرَأَة عفيفة مسلمة هينة لينَة ودود ولود تعين أَهلهَا على الدَّهْر وَلَا تعين الدَّهْر على أَهلهَا وَقَلِيل مَا تجدها، وَامْرَأَة وعَاء لم تزد على أَن تَلد الْوَلَد، وثالثة غل قمل يَجْعَلهَا الله فِي عنق من يَشَاء وَإِذا أَرَادَ أَن يَنْزعهُ نَزعه"[١٠٠]، فالتابع مستقل عن المتبوع في استعماله اللُّغوي، فلكل من المتتابعين دلالة لُغوية منفردة بعزلها عن هذا السياق اللُّغوي، فمن الممكن من الناحية اللُّغوية أن يقال زوجة ودود، أو أن يقال زوجة ولود، ولكن لهذا التلازم الإتباعي دلالات تتمثل في ما يلي:

يسفر الإتباع بين كلمتَي ولود ودود عن دلالات مثل بيان العلاقة التلازمية بين التابع والمتبوع فيفهم من الحديث أن الود نتيجة لإنجاب المرأة للأولاد، بمعنى أن إنجاب الزوجة للولد من شأنه زيادة أواصر المحبة وعلائق المودة بين الزوجين، فصفة المودة تتحقق بشروط منها الرغبة في الإنجاب وتكوين الأسرة، ومن الدلالات أيضًا رسم بعض الملامح الشخصية لنفسية الزوجة، فالزوجة تشعر بالاستقرار النفسي والاتزان العاطفي عندما ترزق بمولود فتحس بالطمأنينة وأنها أقرب إلى زوجها من نفسه، فيصبح الإنجاب وسيلة من وسائل التقارب والمودة، ومما يفيده الإتباع من دلالات دلالة الكثرة والمبالغة في التودد إلى الزوج ما استطاعت الزوجة إلى ذلك سبيلا، وهذه الدلالة مستنتجة من صيغة المبالغة (فعول)، وبالإضافة إلى ما تقدم من دلالات يشير الحديث إلى دلالة الإيجاز، حيث اللفظ قليل والمعنى كثير[١٠١]، فقد عبر عن اتصاف الزوجة الصالحة بأنها ترغب في إنجاب الولد من زوجها وتكوين الأسرة معه، والتمسك بحبال مودته بلفظين موجزين (ولود ودود)، وتظهر دلالة الجناس الناقص بين اللفظين حيث الاختلاف في صوتٍ واحدٍ، وهو عين الكلمة، وما يترتب على هذا الجناس من جذب الانتباه وإحداث الجرس الموسيقي[١٠٢].

وعند التأمل الصوتي في المتتابعين يمكن وصفهما بالآتي:

صوت اللام صوت صامت لثوي جانبي مجهور مرقق.

وصوت الدال صوت صامت لثوي أسناني انفجاري مجهور مرقق[١٠٣].

فيتضح بناءً على الوصف الصوتي السابق خروج صوت اللام من مخرج اللثة وخروج صوت الدال من بين الأسنان، ويلمح من التقارب بين المخرجين دلالة تتمثل في التقارب النفسي بين الزوجين، فكأن التقارب لا ينحصر في التقارب بين عضوي النطق وإنما يشمل التقارب الوِجداني بين الزوجين، فالإتباع المباشر بين كلمتَي ولود ودود يشعر بمدى التقارب والانسجام.

ويتفق الصوتان في معيار الجهر، والجهر في اللغة يتضمن معنى الإعلان والصدع كقولهم: جَهَر بالحق أي أعلنه وصدع به[١٠٤]، والمدلول اللُّغوي لكلمة الجهر ينسحب كذلك على صوتَي اللام والدال، فلعل المعنى الذي يمكن أن يستشف من الإتباع ضرورة إعلان المودة والبوح بالمحبة والصدع بالرحمة بين الزوجين، والإتباع في هذا الحديث من باب الإتباع الاسمي والإتباع لا يتضمن أداة عطف، ويلحظ أن الإتباع جاء على صيغة فعول وهي صيغة مبالغة.

***

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة الإتباع في نماذج من الحديث الشريف، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج تتمثل فيما يلي:

– قد يأتي الإتباع ثلاثيًا، مثل محفود محمود محشود.

– من الممكن أن يحل التابع محل المتبوع والعكس كما في جردًا مردًا، ومردًا جردًا، وقسيم وسيم، ووسيم قسيم، وشحيح صحيح، وصحيح شحيح.

– قد تتعدد الصيغ اللُّغوية للإتباع مثل الإفراد والجمع والتذكير والتأنيث كما في (هين لين– هينون لينون– هينة لينة)، و(صوام قوام – صوامة قوامة)، و(هماز لماز – همازون لمازون).

– ورد الإتباع في جميع الأحاديث الشريفة مجردًا عن أداة العطف مثل: خالدة تالدة، صوامة قوامة، همار لماز، جرد مرد، محفود محشود.

– تشترك الأصوات التي يقع بينها الإتباع في الصيغة الصرفية، مثل: اسم الفاعل كما في (خالدة تالدة)، واسم المفعول مثل: (محفود محشود)، وصيغة مبالغة مثل: (همازًا لمازًا)، و(صوامة قوامة).

– يكثر وقوع الإتباع في المشتقات لا الأسماء الجامدة، فيكثر ورود الإتباع بصيغ اسم الفاعل واسم المفعول وصيغة المبالغة مثل: خالدة تالدة، محشود محفود، قسيم وسيم.

– حقق الإتباع جملة من الآثار الدلالية في نماذج من الأحاديث الشريفة، فمن الآثار الدلالية في قول قسيم وسيم، الجزم والقطع باتصاف الموصوف بالصفة، وشمولية وعمومية الحسن والبهاء والجمال.

– تتعدد الصور البيانية التي يحققها الإتباع، فتشمل: الاستعارة كما في لسان طلق ذلق، والكناية كما في محفود محشود.

من صور الإطناب التي يحققها الإتباع، الإطناب بالترادف: كما في قسيم وسيم.

– تحتل الأصوات الاحتكاكية في الأحاديث الشريفة التي تناولتها الدراسة النصيب الأوفر من حيث معيار طريقة النطق، فقد تضمنت الأحاديث الشريفة عشرة أصوات احتكاكية، بينما اشتملت الأحاديث على خمسة أصوات انفجارية، وثلاث حالات للصوت الجانبي (اللام) وحالة واحدة للصوت المركب (الجيم)، وأما من حيث معيار الهمس والجهر فقد شاعت الأصوات المهموسة بما يعادل اثني عشر صوتًا، بينما تضمنت الأحاديث الشريفة ثمانية أصوات مجهورة.

– هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللُّغوي للهمس والجهر، وبين الفلسفة الدلالية للمتتابعين، فدلالة الهمس على الخفاء وعدم الوضوح، تنسجم مع الجو الدلالي للمتبوع أو التابع غالبًا، والمعنى اللُّغوي للجهر الدال على العلانية والوضوح يتآلف دلاليًا مع فلسفة المتبوع أو التابع.

***

١ معجم مقاييس اللغة، الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس، ج١، ص٣٦٢.

٢ لسان العرب، ابن منظور، ج٨، ص٢٧.

٣ مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر، ص٣١.

٤ المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، م١٣، ص١٤٨.

٥ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، م١، (مادة: تبع)، ص٢٨١.

٦انظر الصاحبي، أحمد بن فارس بن زكريا، ص٢٠٩.

٧ الكتاب، سيبويه، ج٣، ص٣٣٢.

٨ المصدر نفسه. ج٤، ص١٠٩.

٩ المصدر نفسه. ج٤، ص١٧٣.

١٠ انظر: كتاب الإتباع، أبو الطيب اللغوي، ص٤.

١١ انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. ص٤١٦.

١٢ انظر: الصاحبي، أحمد بن فارس بن زكريا، ص٢٠٩.

١٣ انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، ص٤١٤.
١٤ المصدر نفسه. ص٤١٤.
١٥ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، ص٢٨٢.
١٦ دراسات لغوية، نصار، حسين، ص٤٧.
١٧ المرجع نفسه. ص٤٨.
١٨ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، السيد أحمد، ص٣٣٠.
١٩ دراسات لغوية، نصار، حسين، ص٥٢.
٢٠ المرجع نفسه. ص٥٣.
٢١ المرجع نفسه. ص٥٥.
٢٢ المرجع نفسه. ص٥٩.
٢٣ النحو الوافي، حسن عباس، ج٣، ص٤٦٩.
٢٤ نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي أحمد. ص١١٢.
٢٥ معجم اللغة العربية المعاصرة. عمر، أحمد مختار. ص٢٨٢.
٢٦ عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة. ص٤٠٥.
٢٧ كتاب النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الجارم علي، ص٣٨٩.
٢٨ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. ص٤٢٤.
٢٩ المصدر نفسه. ص٤٢٥.
٣٠ كتاب الإتباع، أبو الطيب اللغوي. ص٧.
٣١ المصدر نفسه. ص٤٤- ٤٥.
٣٢ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المقدسي ج٧، ص٢٦٥.
٣٣ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٣٦٠.
٣٤ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح القاري، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي علي بن سلطان محمد، ص٣٥٩٠.
٣٥ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٢٠٨٥.
٣٦ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، م١، ص٤٠٥.

٣٧ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار، ص٣٢٠.
٣٨ الفوائد، الرازي أبو القاسم، ج١، ص٣٤٧.
٣٩ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار، ص٢٩٧.
٤٠ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار، ص٣٢٠.
٤١ نيل الأوطار، الشوكاني اليمني، ج٦، ص٤٤.
٤٢ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٠٥.
٤٣ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.
٤٤ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، الرازي ابن أبي حاتم، ج١٠، ص٣٣٥٩.
٤٥ معجم اللغة العربية المعاصرة عمر، أحمد مختار. ص١٣٣٧.
٤٦ المرجع نفسه. ص١٨٧٤.
٤٧جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد، ص١٩٨.
٤٨ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.
٤٩ الأدب المفرد، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ج١. ص٣٣.
٥٠ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار، ص١٤١١.
٥١ المرجع نفسه. ص٨١٩.
٥٢ الصورة الفنية معيارا نقديا: دراسة في أدوات الناقد، شهيل، رياض جباري، ع١١٧. ص٣٤٧.
٥٣ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد. ص١٩٨.
٥٤ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٠٥.
٥٥ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.
٥٦ الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقًا لحروفها الأولى، مسعود جبران، ص٢٨٤.
٥٧ الدر المنثور، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ج٧. ص٥٠٠.
٥٨ الأساس في التفسير، حوّى سعيد، ج٩، ص٥٣٢٥.
٥٩ الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية، حوّى سعيد، ج٣، ص١٤٤١.
٦٠ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ج١، ص٤٣٨.

٦١ لسان العرب، ابن منظور، ج١٣. ص١٥٣.
٦٢ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٩٩.
٦٣ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد. ص١٩٨.
٦٤ المرجع نفسه. ص٢٩٣.
٦٥ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٠٥.
٦٦ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.
٦٧ الآحاد والمثاني، الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد، ج٦، ص٢٥٢.
٦٨ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ج٣، ص٥٩.
٦٩ نفس المصدر. ص٥٩.
٧٠ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٢٤٤١.
٧١ المرجع نفسه. ص٢٤٤٢.
٧٢ معجم مقاييس اللغة، الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس، ج١، ص٣٦٢.
٧٣ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد. ص١٩٧.
٧٤ المرجع نفسه. ص٢٠١.
٧٥ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الحسيني العلويّ الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، ج٢، ص١٢٣.
٧٦ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٠٥.
٧٧ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.
٧٨ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، ج٤. ص٥٨٨.
٧٩ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، ج٥، ص١١٦.
٨٠ الدر المنثور، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ج٨. ص٢٥٠.
٨١ لسان العرب، ابن منظور، ج٥. ص٤٢٦.

٨٢ المصدر نفسه.

٨٣ المصدر نفسه.

٨٤ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد. ص١٩٨.

٨٥ القرآن الكريم، سورة الهمزة. الآية ١.

٨٦ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي، ج١٠، ص٣٣٠٥.

٨٧ المصدر نفسه. ص٣٣٦٥.

٨٨ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.

٨٩ مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، ج٤، ص٩٢.

٩٠ لسان العرب، ابن منظور، ج١٣. ص٤٤٠.

٩١ المصدر نفسه. ص٣٩٤.

٩٢ علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، ص٢٩٠.

٩٣ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٠٥.

٩٤ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد. ص٢٩٣.

٩٥ المرجع نفسه. ص١٩٨.

٩٦ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.

٩٧ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ج٣، ص٣٧٢.

٩٨ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٢٤١٧.

٩٩ المرجع نفسه. ص٢٤٩١.

١٠٠ الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج٢، ص٥١٨.

١٠١ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي السيد أحمد. ص١٩٧.

١٠٢ معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار. ص٤٠٥.

١٠٣ دراسة الصوت اللغوي، عمر أحمد مختار. ص٣٢٠.

١٠٤ لسان العرب، ابن منظور، ج٤. ص١٤٩.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

٢- الآحاد والمثاني، الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد، ت: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط١)، (١٩٩١).

٣- الأدب المفرد، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية: بيروت، لبنان، (ط٣)، (١٩٨٩).

٤- الأساس في التفسير، حوّى، سعيد دار السلام، القاهرة، مصر، (ط٦)، (٢٠٠٣).

٥- الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية، حوّى، سعيد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط٢)، (١٩٩٢).

٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ط٥)، (٢٠٠٣).

٧- الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء – زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد جَرَّار، نبيل سعد الدين سَليم دار أضواء السلف: الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط١)، (٢٠٠٧).

٨- البحر المحيط في التفسير، الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، لبنان، طبعة (٢٠١٠).

٩- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الفكر، دمشق، سوريا، طبعة (١٩٨٦).

١٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. ت: عمر عبد السلام التدمري. دار الكتاب العربي: بيروت، لبنان. ط٢. ١٩٩٩م.
١١- تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي. محمد بن محمد بن مصطفى (د.ت). دار إحياء التراث العربي: بيروت، لبنان.
١٢- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، عزت، دروزة محمد، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، مصر. (١٩٨٣).
١٣- تفسير القرآن العظيم، الرازي ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية، (ط٣)، (١٩٩٩).
١٤- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، السيد أحمد المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (ط١)، (١٩٩٩).
١٥- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، التِّلمساني البري، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع: الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط١)، (١٩٨٣).
١٦- الدر المنثور، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، دار الفكر: بيروت، لبنان، (٢٠١١).
١٧- دراسات لغوية، نصار، حسين دار الرائد العربي: بيروت، لبنان، طبعة (١٩٨١).
١٨- الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقًا لحروفها الأولىدار، مسعود، جبران، العلم للملايين: بيروت، لبنان، (ط٧)، (١٩٩٢).

١٩- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، تح: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، لبنان، (ط١)، (٢٠٠٠).

٢٠- الرَّوضُ البَّسَام بتَرتيْبِ وَتخْرِيج فَوَائِدِ تَمَّام، الفهيد الدوسري، أبو سليمان جاسم بن سليمان حمد، دَارُ البَشَائِر الإسْلَاميَّة، بيروت، لبنان، (ط١)، (١٩٨٧).

٢١- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني مطبعة بولاق (الأميرية): القاهرة، مصر، سنة (١٨٦٨).

٢٢- السيرة النبوية (البداية والنهاية لابن كثير)، لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تح: مصطفى عبد الواحد دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان، طبعة (١٩٧٦).

٢٣- شرح مختصر خليل للخرشي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، دار الفكر: بيروت، لبنان، (د.ت).

٢٤- الصاحبي، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (ط١)، (١٩٩٧).

٢٥- الصورة الفنية معيارا نقديا: دراسة في أدوات الناقد، شهيل، رياض جباري، جامعة بغداد، كلية الآداب، مجلة الآداب. ع١١٧. (٢٠١٦)

٢٦- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الحسيني العلويّ الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، المكتبة العصرية: بيروت، لبنان، (ط١)، (٢٠٠٢).

٢٧- علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب: طرابلس، لبنان، (ط١)، (٢٠٠٣).

٢٨- عمر، أحمد مختار (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة م١(ط١). عالم الكتب: القاهرة، مصر.

٢٩- الفوائد، الرازي، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي، تح: حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة الرشد: الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط١)، (١٩٩١).

٣٠- كتاب الإتباع، أبو الطيب اللغوي، تح: عزالدين التنوخي، مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، سوريا، طبعة (١٩٦١)

٣١- كتاب النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الجارم، علي، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، مصر، (د.ت).

٣٢- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، مصر، طبعة (١٩٩٢).

٣٣- لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل.. دار صادر: بيروت، لبنان.

٣٤- مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر مكتبة لبنان: بيروت، لبنان، طبعة (١٩٨٦).

٣٥- المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (د.ت).

٣٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي علي بن سلطان محمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط١). (٢٠٠٢).

٣٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، منشورات المكتبة العصرية: صيدا، بيروت، طبعة (١٩٨٦).
٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث: القاهرة، مصر، (ط١)، (١٩٩٥).
٣٩- مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة: بيروت، لبنان. (ط١)، (١٩٨٤)
٤٠- مسند الشهاب، القضاعي المصري، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط٢)، (١٩٨٦).
٤١- معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، عالم الكتب: القاهرة، مصر، (ط١)، (٢٠٠٨).
٤٢- معجم مقاييس اللغة، الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت، لبنان، طبعة (١٩٧٩).
٤٣- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، قاسم، حمزة محمد، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد: الطائف، المملكة العربية السعودية. (١٩٩٠)
٤٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (ط١)، (١٩٩٢).

٤٥- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، عفيفي، أحمد، مكتبة زهراء الشرق: القاهرة مصر، (ط١)، (٢٠٠١).
٤٦- النحو الوافي، حسن، عباس، دار المعارف: القاهرة، مصر، (ط٤)، (١٩٩٦).
٤٧- نيل الأوطار، الشوكاني اليمني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، (ط١)، (١٩٩٣).

***